الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حياته وآثاره

بقلم

إسماعيل بن سعد بن عتيق

عني بنشره

عبد الإله بن عثمان الشايع

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن عتيق، إسماعيل سعد إسماعيل

الشيخ محمد بن إبراهيم حياته وآثاره/ إسماعيل سعد إسماعيل بن عتيق؛ عبد الإله عثمان الشايع - الرياض، ١٤٣٠هـ

١٨٧ ص ١٧× ٢٤سم

ردمك : ١-١٠-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، ت ١٣٨٩هـ ٢- التعليم الديني - السعودية أ- الشايع، عبد الإله عثمان (محقق) ب. العنوان .

ديوي : ٩٢٢،١١٧ ١٤٣٠/٤٧٠٩

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٤٧٠٩

ردمك : ١-١٠-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

الصف والإخراج الفني
بدار الصميعي

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب : ٤٩٦٧
الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض- السويدي - شارع السويدي العام
هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ ،
فاكس :٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢١٧٢٨ تلفاكس : ٣٦٢٤٤٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية / جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني :
daralsomaie@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني:

الحمد لله رب العالمين والصلاة على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا شك ولا ريب أن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأنهم دعاة الهدى، ونور الدجى، وزينة البلاد، كم سنة قد أحيوها، وكم بدعة قد أماتوها، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ومن هؤلاء العلماء الأعلام وأئمة الإسلام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى (١٣١١هـ - ١٣٨٩هـ) رائد النهضة العلمية، ومفتي الديار السعودية، كان له الجهد الكبير في نشر العلم، والإشراف على الشؤون الدينية والمعاهد العلمية، وتخريج القضاة والدعاة إلى الله.

وقد كان لفضيلة شيخنا الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق شرف ملازمة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ومشاهدته له عن قرب، ومجالسته له في أحوال مختلفة، فكان تلميذاً باراً بشيخه حيث كتب عنه ثلاثة كتب هي:

١- تاريخ من لا ينساه التاريخ، وقد سبق طبعه.

٢- مما في الذاكرة عن سماحة الشيخ محمد.

٣- ديوان الرثاء، وقد طبع.

فاقترحت عليه أن يضمها في كتاب واحد، فاستجاب لذلك مشكوراً، فراجع هذه الكتب وحذف منها وزاد حتى صار هذا الكتاب في هذه الحلة القشيبة، وقد قمت بالتنسيق والمراجعة، وكتبت مقدمة بين يدي هذا الكتاب، وترجمة للمؤلف.

والله أسأل أن يغفر للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وأن يجزي شيخنا المؤلف خير الجزاء على بره بشيخه.

والله أعلم وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب:

عبدالإله بن عثمان الشايع

الرياض ١٤٢٩/٨/٧هـ.

ترجمة المؤلف :

هو الشيخ إسماعيل بن سعد بن إسماعيل ابن العلامة الشيخ حمد ابن عتيق ولد في عام ١٣٥٧هـ في وادي الدواسر «الخماسين» قاعدة الوادي.

تلقى مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب على يد عمه الشيخ عبدالعزيز، والشيخ حمد بن عبداللطيف بن حمد بن عتيق.

وفي عام ١٣٦٧هـ سافر إلى الرياض مع والده لطلب العلم.

وفي عام ١٣٦٩هـ افتتحت المدارس النظامية في الوادي فالتحق بها لمدة عامين.

وفي عام ١٣٧١هـ سافر إلى الرياض والتحق بحلق التعليم في المساجد بعد وفاة والده.

لازم العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من عام ١٣٧١ إلى وفاته عام ١٣٨٩هـ.

درس على الشيخ محمد المهدي الشنقيطي القرآن ، وحفظ أكثره عليه في مسجد الشيخ محمد.

وفي عام ١٣٧٣هـ التحق بالمعاهد العلمية في السنتين التمهيدية ثم الثانوية ثم كلية الشريعة التي تخرج فيها عام ١٣٨٤هـ.

رشح لقضاء محكمة بني سعد في منطقة الطائف ولم يباشر العمل واعتذر عن القضاء.

وفي عام ١٣٨٦هـ انتقل عمله إلى دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية، وعمل مراقباً للمطبوعات، ثم رئيساً للوعظ والإرشاد، ثم مديراً عاماً للتفتيش، ثم باحثاً علمياً في هيئة كبار العلماء، وقد استفاد من ملازمته سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى.

حصل على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة البنجاب بباكستان.

أحيل إلى التقاعد عام ١٤١٧هـ على المرتبة الثالثة عشر.

زار القارات الخمس، ونزل في سبع وخمسين دولة أكثرها في مهمات رسمية في الدعوة إلى الله عز وجل.

التقى في زياراته بالعديد من العلماء والأعلام.

مؤلفاته :

ألف العديد من الكتاب النافعة وهي:

١- إتحاف القارئ بالمختار من أشعاري.

٢-أربعون يوماً في ألبانيا.

٣- موسكو التي شاهدتها.

٤-الموارد الشرعية للمكاسب النقدية.

٥- وميض نار أم شعاع نور في الغرب.

٦- الإمام محمد بن سعود الرائد والقائد.

٧- الشيخ عبدالله بن محمد آل الشيخ ترجمة.

٨- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

٩- هذا هو الإمام صالح الخريصي.

١٠- الشيخ محمد بن إبراهيم حياته وآثاره، وهو هذا الكتاب.

١١- الجماعة الواحدة في التوحيد والتشريع والسلوك.

١٢- المثال من الرجال عبدالله بن محمد القرعاوي.

١٣- مذكرات وذكريات أربعون عاماً في سبع وخمسين دولة.

١٤- أعلام وعلماء عايشتهم.

١٥- قطف الثمرة في رثاء علماء عشرة.

١٦- حقائق في مرآة الزمان.

١٧- معالم من سيرة عالم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وأبنائه.

١٨- المسيرة الأسرية لآل عتيق.

أسس مكتبة دار الهداية للنشر والطبع والترجمة، وتبنى مشروع إحياء السنة وإماتة البدعة في إصدار ثلاثة كتب:

الأول: التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة.

الثاني: أعلامنا في سجل التاريخ تراجم مختصرة لأئمة الدعوة.

الثالث: عيون الرسائل والمسائل، طبع منها اثنان عشرة رسالة في مضامين التوحيد ومقاصده.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب الحمد المحمود، خالق الإنسان من العدم إلى الوجود، وبعد :

فقد جادت الذاكرة بما لم يكن في الحسبان، واستخرجت منها مكنون نصف قرن من الزمان، فمن عام ١٣٧١هـ كنت في صحبة علم الأعلام الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وكان الذهن صافياً، والفطرة سليمة، والمحل قابلا، فكنت ألتقط ما يقوله أو يفعله، وأستزيد بما يقال عنه حتى تقرر في ذاكرتي الشيء الكثير مما دفعني إلى الكتابة عنه، فقمت بطبع أول مجموع من آثاره وأخباره تحت عنوان:

١/ « تاريخ من لا ينساه التاريخ » ، وطبع عام ١٤١٣هـ ثم أعدت طباعته بعد نقده وتصحيحه ، وفي عام ١٤٢٠هـ جمعت ما قيل في رثائه وطبعته تحت عنوان:

٢/ « ديوان الرثاء في فقيد الأمة وحبر الجيل » .

ثم جمعت ما في الذاكرة تحت عنوان:

٣/ « مما في الذاكرة عن الشيخ محمد بن إبراهيم » .

وأخيراً كتبتُ مقالاً نشر في مجلة الدعوة السعودية بعنوان:

٤/ « مسجد الشيخ قبل خمسين عاماً » .

وقد أشار علي من مشورته مقبولة أن أجمعها في كتاب واحد، فجعلت عنوانه: « الشيخ محمد بن إبراهيم حياته وآثاره ».

وإني بهذا الجهد الجهيد أحسب أني بلغت مبلغ القول السديد فيما أنشأته وحبرته وجمعته في سيرة هذا العلم المبارك سلالة الأمجاد وعز الأجداد ، وقد يرى القارئ أن فيما كتبته خلاف ما جرت به العادة في كتابة السير والتراجم، فعسى أن يعذرني، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

سدد الله الخطى وأبعد عنا الشططا، والله ولي التوفيق وهو حسبي في وحشة الطريق.

قال ذلك كاتبه:

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن عتيق.

في شهر ربيع الثاني ٤/ ٤/ ١٤٢٤هـ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد :

الحمد لله وحده ، وبعد:

فقد عنَّ لي أن أكتب بعد أن رأيت تخرم الأقطاب وتلاشي الزعامة، والقيادة العلمية والدينية في عصر كثر فيه التعلم ، وتزاحم الناس على الكتاب ، واكتظت المدارس بالطلاب ، ولكن كما قال رسول الله ﷺ : « **الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة** »[١] .

ومن الطبعي أن تبرز بين الأوساط الاجتماعية رؤوس ، وتشمخ أعلام يدين لها المجتمع بالفضل والقيادة ، ولاسيما إذا كان المجتمع قد اتحدت أهدافه ، وتوحدت غاياته توحد ينبوع التلقي والاعتراف بالمشيخة والإمامة لأشخاص ورثوها كابراً عن كابر ، وأثبتت عبقريتهم محن الزمان و محك الخصام، والانتصار على النفس، والاستقامة ، والمجاهدة حتى أتاهم اليقين من ربهم ، وهم على ذلك صابرون محتسبون، من أولئك العلماء ممن عاصرتهم وعرفتهم ، وسبرت أغوارهم، وتأثرت بهم تأثر التلميذ بأستاذه ، والابن بوالده.

ومنذ زمن طويل وتصوراتي عن أحوالهم تفتح لي باب الأمل في التلقي والاستفادة من منهجهم وسيرهم لتعدد جوانب الحياة الحيَّة

---

(١) رواه البخاري (٦٨٩١)، ومسلم (٢٥٤٧).

المثالية فيما قدَّموه ، بعد أن فارقوا الدنيا وداعاً إلى الآخرة ، مروراً بالحياة البرزخية ثم الحياة الأبدية في نعيم الله الخالد ومقر رحمته ورضوانه بمنّه، وكرمه سبحانه ، ولا نقول إلاَّ ما قال رسول الله ﷺ : « أنتم شهداء لله في أرضه »[١] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

من أولئك الأعلام من له الزعامة والقيادة ، إمام عصره ، وفريد دهره، من أعطي الحكمة فأعطي خيراً كثيراً، العلامة مفتي الأنام ، ومميز الأحكام : الشيخ محمد بن إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن المجدد الثاني عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –.

أسرد في هذه الرسالة بعض ما عرفته وشاهدته عن هذا الإمام الفذ رحمة الله عليه ، وسأورد الحديث عنه بعد تقديمي هذا في الفصول التالية:

١- بداية اللقاء والمعرفة من عام ١٣٦٧ إلى عام ١٣٨٩هـ.
٢- وصف مدرسته وبعض البارزين من تلامذته.
٣- مشاهد من حياته وسيرته.
٤- بعض أصفيائه وأحبابه.
٥- أعماله ومناصبه.
٦- ما قيل في رثائه، ومن رثاه نظماً ونثراً.
٧- آثاره العلمية ومؤلفاته.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

هذا وأسأل الله أن يجعل ما كتبته عين ما يتمنى كل محب وعارف فضله.

ولا يفوتني أن أنوِّه إلى أن هناك جوانب من أخلاقه وسيرته ، تحتاج إلى دراسة وعرض وتحليل ، لتبقى في سيرة العلماء النبلاء ، قدوة للمقتدين ، ونبراساً للصَّالحين.

وأرجو أن ينبري لها من هو أقدر منِّي على التعبير ، وأجدر بالتوضيح والتفسير.

والله وليُّ التوفيق ، والهادي إلى سواء السبيل.

إسماعيل بن سعد بن عتيق

١٠/ ٥/ ١٤١٣هـ

أولاً: بداية اللقاء والمعرفة:

ففي بداية العقد الثاني من سني العمر أي عام ١٣٦٧هـ وفي وادي الدواسر مقر السكن والولادة هَمَسَ لي والدي بأربع كلمات قائلاً:

غداً نركب السيارة، ونسافر إلى الرياض، وننزل على الشيوخ، ونرتب على الشيخ. هذه الأربع الكلمات أو الجمل المختصرات كانت بشرى لم تكن لأقراني وأترابي، فركوب السيارة في عام ١٣٦٧هـ لا يتسنى لأحد، حيث لا يوجد في البلد سوى سيارة واحدة تابعة لقصر الحكومة.

أما السفر إلى الرياض فهو أمنية الكبار فضلاً عن الصغار، ولا يمكن إلاَّ لمن غامر وتطلع إلى المراجل والأسفار.

والنزول ضيوف على الشيوخ يعني بذلك الملك عبد العزيز، حيث يعبر بالشيوخ عن الملك عبد العزيز.

أما الترتيب على الشيخ فالمعنى الدراسة والانتظام في سلك الطلب عند الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –.

فكان كل ذلك في وقته المحدد كما وعد بذلك والدي – رحمه الله –.

لم يمض على ما وعد به والدي من همساته في أذني وأسرَّه إليَّ أربعة عشر يوماً حتى وصلنا الرياض، بعد أن أمضينا في الطريق سبعة أيام من وادي الدواسر إلى الرياض، والتي نقطعها اليوم في سبع ساعات.

وصلنا الرياض فكان أول لقاء بالشيخ الإمام معلم الجيل حيث يتوافد له الطلاب من داني البلاد وقاصيها ، فما أن تمَّ السلام عليه والتعريف حتى أمر – رحمه الله – بإسكان والدي في غرفة خاصة ، وهذا أمرٌ نادر لا يحصل لأحدٍ من طلاب العلم لضيق الأماكن وكثرة الطلاب ، فالغرفة الواحدة قد يسكنها أكثر من عشرة ، وتقديراً وأملاً في أن يتفرغ والدي للعلم والدراسة فقد اهتم به – رحمه الله – ، كما هي عادته في إكرام الأسرة من آل عتيق ، واحترامهم والعناية بهم أملاً أن يبرز فيهم طلاب علم ومعرفة ، أسوة بسلفهم رحمهم الله.

فكان والدي ملازماً لحلقات التعليم صباحاً ومساءً. فقد رتب على الشيخ في كتاب التوحيد، ومتن الزاد ، وقراءة عامة في الشروح لمدة عام أو تزيد رحمة الله عليه.

أما السلام على الشيوخ – أي الملك عبد العزيز – فكان ذلك بمعية والدي ، وكان التعبير المستعمل آن ذاك (ننوِّخ على الشيوخ) ومن بعد ذلك تكتب شرهة المناخ ، تمَّ السلام على الملك عبد العزيز رحمة الله وأمر بالضيافة ، كما أمر بصرف الشرهة التي تدعى شرهة المناخ: مائة ريال للوالد ، وخمسين ريالاً لابنه.

ومن الجدير بالذكر ما هو في حوزتنا من الوثائق التاريخية بتاريخ ١٣٤٣هـ ، المتضمن أمر الملك عبد العزيز كتابياً للأمير عبد العزيز بن

دغيثر ؛ باعتبار قاعدة إسماعيل بن الشيخ حمد بن عتيق ١٠٠ صاع بر ، و ٤٠٠ وزنه تمر ، وذلك سنوياً تصرف من البروة في وادي الدواسر ، حيث كان الجد إسماعيل يقوم بوظائف دينية في وادي الدواسر من عام ١٣١٦هـ إلى أن توفاه الله عام ١٣٤٧هـ - رحمه الله -.

وذلك بجانب أخويه العالمَيْن الجليلين الشيخ عبد العزيز بن حمد ، والشيخ عبد اللطيف بن حمد ، ولهما القيادة الدينية والتوجيه للمناطق الجنوبية خلفاً لوالدهما الشيخ حمد بن عتيق رحمهم الله.

أعود إلى ما بدأت به من التعريف بالعلم الشامخ مرجع الأمراء والمشايخ الشيخ: محمد بن إبراهيم – رحمه الله – فهو الذي عناه والدي بقوله (نرتّب على الشيخ) والشيخ إذا أطلق فالمراد به الشيخ محمد بن إبراهيم ولا شيخ سواه إلاَّ من كان في الأقاليم والقرى المتناثرة ، فيدعى الشيخ باسمه ، وهذا كافٍ في المصطلح والمتعارف عليه بين الناس الخاصة والعامة ، أنَّ الشيخ هو الشيخ محمد بن إبراهيم مرجع الفتيا والقضاء ، والتعليم ، بل والسياسة ، والتوجيه لكثير من الأمور التي ربما تستشيره الدولة في ذلك.

وفي ذلك العام لم تكن المناصب والمراتب ومسميات الوظائف ، غير أنه يصرف للطلبة مخصصات سنوية وشهرية ، وصدقات عن طريق الشيخ ، ولم يكن للشيخ من الوظائف المسماة سوى التعليم

والإمامة في مسجد الشيخ عبد الله ، والخطابة في الجامع الكبير ، والدرس العام في كل أسبوع في السوق (الصفاة)، فهذا برنامجه اليومي والأسبوعي، غير أنَّ التعليم هو غاية ما يصبو إليه، وجل وقته كذلك ، وقد شاهدته في جلساته المتتابعة من بعد صلاة الفجر إلى قرب صلاة الظهر – رحمه الله-.

وما أنا آنذاك إلاَّ طفل يبلغ الحادية عشر من عمره ، ليس له من عمل سوى التردد على كتاتيب تعليم القرآن؛ المدرسة القرآنية الوحيدة ، أو لعلها الثانية فيما أعرف في مدينة الرياض ، ألا وهي مدرسة محمد بن أحمد بن سنان ، تقع في الجهة الغربية من دخنة حارة العلماء وطلاب العلم ، وهي في سطح مجبَّب على سكة ضيقة تسع لخمسين طالباً مزدحمين يتعلمون القرآن فقط.

ومن بين أولئك الطلاب من أهل الرياض هذا الوجه الغريب في مظهره ومنطقه؛ أما المظهر فهو اللباس المتميز بما يسمى بالردون أو الذلائق ، وهو ثوبٌ واسعٌ فضفاض ، وأكمامه طويلةٌ تصل إلى نصف القامة ، اشتهر بهذا اللباس أهل الحوطة من بني تميم ، فكان اللابس لهذا في الرياض يدعى بالحوطيّ، وكنت كذلك حتى اشتكيت لوالدي هذه النسبة غير الصحيحة ، لأن الطلاب أخذوها مأخذ التزمت ، والحوطيّ مستصغر عندهم ، فكان الاستياء من ذلك على أشده.

وأما غرابة المنطق فكان لكل إقليم ، بل لعل لكل قرية لهجة يتميزون بها في المنطق والتعامل ، فشتَّان بين لهجة أهل الرياض وبين لهجة الدواسر ، وهذا كان معروفاً ومشهوراً إلى عهدٍ قريب تتميز كل منطقة ، بل كل مدينة بلهجتها الذاتية كالإمالة في آخر الكلمات أو الغنة أو غير ذلك من الأصوات التي يعرف بها الرجل في تحديد بلده وقبيلته ، مثال ذلك كلمة (بُهْ) - بضم الباء وإسكان الهاء - هي لهجة أهل القصيم، والمعنى : (فيه) بلهجة غيرهم.

فكان الطلاب يحاولون استنطاقي بلغة أهل بلدي حتى يدخلوا معي في المزاح والتندر ، وكنت مكتئباً غاية الاكتئاب من نشازي في المظهر ، والمنطق بين أولاد أهل الرياض المتزعمين في ظنِّهم حسن المظهر والمنطق ،وأنَّ مَن عداهم تبعٌ لهم.

أمضيت على هذا سنة أو تزيد لدراسة القرآن الكريم حتى تجاوزت النصف منه ، حيث عدنا إلى الوطن بمعية والدي ، وقد دنت منيَّته وحان أجله ليدفن في الصحراء الجرداء - عليه رحمة الله - عام ١٣٦٨هـ ما بين الأفلاج والرياض.

أما وظيفتي الثانية - فترة إقامتي في الرياض - فهي عمل خيري ، قد يستغرب القارئ ما أحكيه في ذلك الزمن ، وهو أنه لا يوجد في الرياض تيار كهربائي البتة ، بل إنَّ وقود السرج بالقاز غالٍ ونادر جداً. فكانت

وظيفتي بعد كل عصر أحمل سراج المطالعة من بيت الطلبة إلى القصر – قصر الحكومة في الصفاة – لتعبئة ذلك السراج.

وليتك تشاهد ذلك الزحام لتعبئة السرج، وأتاريك الذوات من الأمراء والأعيان ، فهذا يصيح بأعلى صوته : هذا سراج الأمير ، وآخر يقول: هذا أتريك الأمير – لتعبئته بالقاز – ولعل كل بيت يتبعه عدد من السرج ، أما ذلك الطفل الصغير فيحمل سراج المطالعة لتعبئته بالقاز في هذا الزحام المصحوب بالركل والصياح ، فكانت الإساءة الثانية مع ضعف الجهد وقلّة الحيلة في التخلص من هذا التكليف اليومي – وهو طبعاً بلا مقابل – ولكنه طلباً من المسؤول عن بيت المطالعة ألا وهو محمد بن بخيِّت الذي ربما يهدي لي مرة بعد أخرى إمّا حبة ترنجة ، أو ملء كفيه عبري (ثمرة السدر) ، وهذا هدية الصغار وكفى.

عودٌ أحمد ، بعد عامين عدت إلى الرياض في عام ١٣٧١هـ.

وقد انتهت الدراسة الابتدائية من الثانية إلى الثالثة الابتدائية ، ومن الثالثة على الرابعة إذ لم تفتتح المدارس النظامية في بلدنا إلاَّ عام ١٣٦٩هـ ، عدت وأنا متطلع إلى طلب العلم ومزاحمة ركب العلماء في مساجد وحلق التعليم ، فكان لي ما أردت حيث تمَّ اكتتابي ضمن طلبة العلم الدارسين في مسجد الشيخ ، كما تمَّ الأمر بصرف مرتب شهري قدره اثنا عشر ريالاً ، وشر هتّي الشتاء والصيف ، وكان لغالب أسرتنا

ممن لهم قدمٌ في الطلب مصروفات أخرى من التمر والعيش والكسوة إلى غير ذلك من المسميات كبدل الحطب والقهوة ، ولكن الصغار من الأسرة كأمثالي لم يحظ بما حظي به سلفه من المكافآت السخية ، غير أنَّ ما يصرف لي من المرتب يكفي لشهرٍ كامل وزيادة ، حيث لا يوقد في الحجرة نارٌ سوى دقائق معدودة لإعداد الشاي وما يلزم من الأدم الخفيفة، والله المستعان.

وبعد العام نفسه أي عام ١٣٧٢هـ حظيت بوظيفة أشرف من ذي قبل ألا وهي تدريس القرآن في بيت الشيخ محمد بن إبراهيم لمدة عام ونصف عام ، كانت أيامها مزدهرة بالحركة العلمية والنشاط في مسجد الشيخ وفي بيته ، وتكاثر طلاب العلم، فقد خصَّني سماحته بغرفة في مسجده كانت معتكفاً للأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل ابن تركي – رحمه الله – مما جدّد لدي النشاط في الطلب والدراسة ، وكنت أحد طلاب العلم والمنتظمين في الترتيب على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، وفي حلق تحفيظ القرآن في مسجد الشيخ ، وفي ضحى كل يوم أوجه إلى بيت الشيخ لتعليم القرآن الكريم لصغار أهل البيت ، وكنت كالابن للشيخ لما حظيت به لديه من حفاوة وتكريم، حتى ظنَّ البعض أنني أحد أبنائه لكثرة ملازمته ، وخاصة من البيت إلى المسجد ، ومن بيته الكبير إلى بيته الآخر ، وكان بينهما

مسافة ، فكان هذا هو بداية المعرفة عن كثب لأحوال الشيخ في بيته وخارج بيته ، ولولا ما أعلمه وعلمته عن أحواله وسلوكه في بيته أمانة وسر لبُحْت بشيء من ذلك ، فقد كانت سيرته عطرة في تعامله مع أهله وبيته وخدَّامه ومن حوله.

ولا يجوز لي أن أتحدث عن دقائق تلك السير ، فقد لا يعجب البعض من أهل بيته ، ولكن ما شاهدته من سيرته وعمله كان انطباعاً ذاتياً في حياتي ، فقد تأثرت بسيرته - رحمه الله - سيما وأنني حديث السن يتيم الأب ، مفعم بالإحسان من سماحته - رحمه الله -.

وأكتفي بذكر بعض المشاهد من سيرته وحياته خارج بيته.

ففي عام ١٣٧٣هـ التحقت بالمعاهد العلمية، وتخرجت عام ١٣٨٤هـ من الكلية، وكنت في قائمة المرشحين للقضاء في المحاكم الشرعية ، ولم أحاول في بداية الأمر التخلص من القضاء ولكن ثقتي بأنَّ الشيخ سَيَهَبُ لي بعض العناية للمعرفة السابقة.

أمضيت في الملازمة تسعة أشهر ثم راجعت معالي نائبه الشيخ إبراهيم بطلب نقلي إلى الإفتاء بدلاً من القضاء ، فعرض الأمر على سماحة الشيخ فوافق - رحمه الله - ، وتمَّ الانتقال الوظيفي من المحاكم الشرعية إلى دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية عام ١٣٨٦هـ إلى عام ١٤١٧هـ سن التقاعد .

وفي عام ١٣٨٧هـ استشرت سماحته في السفر إلى أفريقيا في الدعوة إلى الله ، فأشار عليَّ ودعا لي وشجعني على السفر إلى غرب أفريقيا وبالتحديد إلى نيجيريا ، فتوجهت إلى تلك المناطق النائية الموحشة المقفرة السوداء القاتمة ، احتساباً وطلباً للأجر والمثوبة، وإحياءً لرسالة الأنبياء وواجب العلماء.

أمضيت في نيجيريا عشرة أشهر، عدت منها ، فأتيت إلى سماحته وهو في الطائف ففرح بقدومي وقال: أنت ضيفنا.

أخبرته بأحوال البلاد والعباد ، وفور عودتي كلفني معالي نائبه بالقيام بأعمال الدعوة في الداخل والخارج نيابةً عن مديرها الشيخ محمد ابن قعود ، ثم ترفعت على وظيفة رئيس قسم الوعظ والإرشاد ، وهكذا تدرجت في مراتب العمل .

وصلتي بالشيخ صلة الواثق من آرائه وما يدلي به ، وكان هو الآخر يأخذ بالكثير مما أقوله ، فقد طلب مني أحد أعضاء الإفتاء الكتابة عن منظمة قائمة فعرض ما كتبته على سماحة الشيخ فوافق على محتواه.

وبهذا كانت الصلة بالشيخ من عام ١٣٦٧هـ إلى أن توفاه الله عام ١٣٨٩هـ - رحمه الله - رحمة واسعة.

* * *

ثانياً: وصف مدرسته وذكر بعض المبرزين من تلامذته

لا بد من الذكر أنَّ مدينة الرياض ليس لها مركز سياسي ولا علمي إلاَّ بعد أن كانت عاصمة للدولة السعودية ، في الدور الثاني من أدوار الحكم السعودي ، وذلك أنَّ الإمام تركي بن عبد الله جعلها قاعدة حكمه ، وعاصمة للدولة السعودية ، بعد أن كانت في الدرعية في عصر الأمير محمد بن سعود وابنه عبد العزيز ، وسعود بن عبد العزيز ، وعبد الله بن سعود ، وقد تهدمت الدرعية على يد الطاغية إبراهيم باشاً ، الممثل للدولة العثمانية ، والذي وكل إليه القضاء على الدعوة السلفية سياسياً وعلمياً.

أما السياسية فقد انتهت في تصورهم بالقضاء على الإمام عبد الله بن سعود قتلاً في اسطنبول.

وأما العلمية فقد أجلوا آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف ، وألزموهما بالإقامة الجبرية في مصر، ولكن لله في خلقه شؤون، فقد عادت الدولة وعادت الحركة العلمية في نجد على يد الأسرتين الكريمتين آل سعود وآل الشيخ.

عاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن من مصر عام ١٢٤١هـ وأسس قواعد التعليم في الرياض ، ووضع كفه بكف الإمام تركي بن عبد الله آل سعود، فعادت الدولة ، وتحركت عناصر القوى النجدية في استرجاع ما دمرته الأيدي العثمانية ، وهكذا ظلت الحركة السياسية والعلمية كفرسي رهان

في ميدان السباق ، وقد استقرت الدولة السعودية في عهد الإمام تركي وابنه فيصل ثم عبد الله الفيصل ، إلى أن حصل خلاف بين الأخوين عبدالله وسعود ، اضطرب بسببه الأمان ، وخفت به كفتا الميزان إلى أن قيَّض الله للأمة صقر الجزيرة ، وموحد أجزائها الملك عبد العزيز، فقام بما قام به سلفه من نشر العلم بعد تثبيت الأمان ، فكان العالم عبد الله بن عبداللطيف ساعده الأيمن ، والموجه لشؤون الدولة في النواحي التعليمية والقضائية ، ثم خلفه وورث سيرته ابن أخيه الشيخ محمد بن إبراهيم في سنه المبكر ، فكان هو الإمام المعلم ، والمستشار الناصح ، وإليك وصف مدرسته العلمية بعد هذه التوطئة بما ذكر.

في عام ١٣٣٩هـ، انتقل العالم المفتي الشيخ عبد الله بن عبداللطيف إلى جوار ربه، فاستشار الملك عبد العزيز من حوله من العلماء فيمن يرشح لهذا المنصب الديني والسياسي ، فكانت الأنامل تشير إلى محمد ابن إبراهيم ، وهو إذ ذاك لا يتجاوز ثمانية وعشرين عاماً ، فأخذ الملك بمشورة العلماء: ومنهم العلامة الشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ الفاضل حمد بن فارس وغيرهما وقد قيل: إن الشيخ عبد الله قبل وفاته أشار على الملك بذلك.

وقد التزم الشيخ محمد بما كلِّف به ، فكان هو خطيب جامع الإمام تركي بن عبد الله ، وبدأت حلقات التعليم بمسجد الشيخ عبد الله بن

عبداللطيف في دخنة ، علماً بأن الشيخ سعداً كان يعقد حلقات تعليمية في جامع الإمام تركي ، ويؤم الناس في الصلاة عدا صلاة الجمعة وخطبتيها.

وقد استمر الحال إلى أن توفي الشيخ سعد عام ١٣٤٩هـ فتحول الطلاب إلى الشيخ محمد ، فكان مجلسه صباح مساء ، كله تعليم ومذاكرة ، وذلك لما تتطلبه الدولة الناشئة من قضاء ودعاة وخطباء وأئمة، منوط ذلك بهذه المدرسة المباركة ، وقد تمَّ ذلك أو جلّه ، وتحقق الكثير منه بحمد الله وتوفيقه.

ويمكن تقسيم مدرسة الشيخ محمد تقسيماً زمنياً إلى ثلاثة أقسام :

من عام ١٣٣٩هـ ، كانت أولى تدريسه خلفاً لعمه الشيخ عبد الله .

ومن عام ١٣٤٩هـ توحد بالتعليم وتفرد بالأستاذية خلفاً لأستاذه الشيخ سعد بن عتيق حيث اتسعت رقعة أعمال الدولة ، وكثر خريجو مدرسته وتولوا أعمال القضاء والدعوة والتدريس في أرجاء المملكة .

من عام ١٣٧١هـ ، كان الدور الثالث الزمني يقوم بالتدريس في أمهات الكتب والمراجع لخواص الطلاب وكبارهم حتى عام ١٣٨٠هـ حيث تفرغ لمهامه القيادية، مع أنَّ البحث والمطالعة يجريان مجراهما في أمهات المسائل وما يتطلبه العمل في القضاء والفتيا ، وقد كان – رحمه الله – له قارئان يلازمانه ، أحدهما في المسجد وهو الشيخ عبد العزيز بن

شلهوب ، والثاني في البيت وهو الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، وغالباً ما يكون بعد العشاء لتحضير بعض المسائل الهامّة التي تحتاج إلى مراجعة وبحث ، هذا عدا من يقرأ عليه المعاملات المتعلقة برئاسة القضاء ودار الإفتاء.

أما المرحلة الأولى والثانية فإنني لم أدرك تلك الأعوام ولكن من عام ١٣٦٧هـ كان لي بعض الإدراك لما كنت أشاهده من حلق التعليم في بيت الشيخ وفي مسجده ، وفي بيت المطالعة بيت الإخوان ، فقد كان الشيخ – رحمه الله – يجلس بعد صلاة الفجر مباشرة لحفاظ المتون في الفقه والحديث والنحو.

الفقه: (زاد المستقنع) ؛ والحديث : (بلوغ المرام).

والنحو: (ألفية ابن مالك).

ثم بعد استماع قراءة جزء من المتن من حفظ الطلاب يقرر القراءة تقريراً مرتلاً تحسب كلماته عداً حتى أن البعض من الطلبة يكتب شرحه وتقاريره واختياراته وترجيحاته ، ثم بعد الشرح الشفوي يعاد قراءة المتن مع شرحه ، وإذا مرّ ما يرى الشيخ إعادة تقريره لتثبيته في الأذهان عاد وقرر ، وإلاَّ أخذ القارئ في قراءة الشروح سرداً ، وقد يسأل بعض الطلبة فيجيب سماحته على السؤال ، مع أنَّ السائل قليل، فهم يكتفون باستماع

الشرح الشفوي ثم قراءة الشرح ، وقلَّ من يسأل حفاظاً على الوقت ، والبعض هيبةً من الشيخ خشية أن يُخطئ في السؤال.

وبعد الإشراق وارتفاع الشمس ينهض الشيخ من مجلسه في مسجده ويتجه إلى بيته ، فينصرف الطلاب بانصرافه للاستراحة والإفطار لمدة ساعة تقريباً، ثم يستأنف الجلسة في بيته ، وقد فتح الباب للناس ؛ عامة الطلاب والمستمعون ؛ فيجلس الطلاب صفوفاً في الديوانية حتى لا تكاد تجد موطئ قدم في هذه الجلسة ، تُقرأ عليه المختصرات في التوحيد، والأصول الثلاثة ، وشروط الصلاة ، وآداب المشي إلى الصلاة، وكتاب التوحيد ، وربما قرئ عليه المصطلح كالبيقونية ونخبة الفكر من مصطلح أهل الأثر ، وطريقة تدريسه مثل ما سبق ، الاستماع إلى الطلاب حفّاظ المتون مجزءاً ، ثم شرح الدروس شرحاً مبسطاً يُفهم فيه صغار الطلبة ، سمعته ذات مرة يقرر مراتب ، مرتبة الإسلام ، وهي الدائرة الواسعة التي يدخل فيها من أتى بالأركان الخمسة ظاهرياً ، ثم دائرة الإيمان أخص من دائرة الإسلام ، ثم دائرة الإحسان أخص مما قبلها ، وهكذا كان يحلق بيديه على الأرض ثلاث حلقات وبعد انصراف صغار الطلبة من قراءة المختصرات يأتي دور المطولات.

وربما نهض الشيخ إلى بيته لتجديد وضوء والاسترخاء فترة قصيرة حتى يتهيأ كبار الطلبة وهم ممن يقرأون المطولات كفتح الباري شرح

صحيح البخاري ، بل وكافة شروح الأمهات ، وهم قليلون ، إلاَّ أنَّ القراءة تطول ، وقد يقرأ القارئ الصفحات إلى أربعين أو خمسين صفحة في باب واحد أو موضوع واحد ، أو في كتاب محدد ، لا يرى الشيخ تجزئة قراءته ، ويستمر هذا المجلس إلى ما قبل صلاة الظهر بساعة ونصف تقريباً ، وكان الشيخ إذا أمر بالبدء قال : سم أي سم الله ، وإذا أراد الانتهاء قال: بركة ، تشعر القارئ بالتوقف.

وفيما بين قراءة المطولات وصلاة الظهر يأتي بعض أصحاب الحاجات أو من يريد أن يُسلِّم على الشيخ ، فيستمر مجلسه إلى أذان الظهر من مجلسه الذي بدأه بعد الإشراق إلى أن يحين وقت أذان الظهر بصبر وجلَد واحتساب عليه رحمة الله وبركاته ، وهكذا سارت أيامه ولياليه.

هذا وكان للشيخ درسٌ بعد صلاة الظهر مباشرة لقارئ واحد لا يتجاوز عشرين دقيقة تقريباً ، ممن أدركته وهو يقرأ عليه : الشيخ سليمان الحمَّاد أحد منسوبي الإفتاء ثم رئاسة القضاء.

أما بعد صلاة العصر فيُقرأ عليه قراءة عامة وهو في محراب الصلاة بعض كتب الحديث – لا يزيد عن أربعة أو خمسة أحاديث تقريباً – أما بعد صلاة المغرب فيخصص مجلسه في البيت لزيارة المشايخ والمحبين وبعض الأعيان ومن له حاجة ، وهذه الجلسة مستمرة إلى ما قبيل أذان العشاء حيث يخرج سماحته بمعيته من في المجلس إلى المسجد لصلاة العشاء ، بعد أداء

سنة ما قبل العشاء يجلس في المحراب ويقرأ القارئ عبد العزيز بن شلهوب تفسير القرآن الكريم، إما ابن كثير، أو الطبري في الغالب.

أذكر من تقريراته في التفسير على قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية[النساء: ٩٣]. قال: الحقوق ثلاثة: حق لله تبارك وتعالى، وحق للورثة، وحق للمجني عليه. الأول يسقط بالتوبة، والثاني يسقط بأداء الدية، والثالث تقوم الخصومة بين الجاني والمجني عليه يوم القيامة.

هذا ومن الجدير بالذكر أنَّ مدرسة الشيخ محمد هي على غرار مدارس سلفه في اختيار الفنون والمعارف العلمية، وفي مقدمة ذلك: التوحيد وبيانه، ورد الشبه العالقة في أذهان بعض الناس في توحيد الألوهية، أو توحيد الأسماء والصفات، فالفن الأول فن التعليم هو التوحيد، وذلك بقراءة كتب التوحيد وتدريسها ابتداءً بالأصول الثلاثة وكتاب التوحيد وشرحه، ثم تدريس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في باب الأسماء والصفات، يلي ذلك في الأهمية كتب الفقه، وبالذات مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، وذلك بتدريس أخصر المختصرات في الفقه، وزاد المستقنع ودليل الطالب وقراءة شروحها، ثم المطول في المذهب كالمغني والكشاف والكافي إلى غير ذلك من

شروح كتب الفقه، ويأتي في الدرجة الثالثة كتب السير والتاريخ كسيرة ابن هشام، والبداية والنهاية، وكتب المغازي والحوادث، أما كتب القصص والوعظ فإنَّ علماء الدعوة يضربون عنها صفحاً، بل وينهون عنها وبالأخص كتب ابن الجوزي كالمدهش والتبصرة وغيرهما لما فيها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة رحمهم الله.

المبرزون من تلاميذه:

أما ذكر بعض المبرزين من تلامذته فهم كثير، ولا يمكن عدّهم وحصرهم وهم حصيلة خمسين عاماً، غير أنني أذكر بعض من تميز بمنصبه الرسمي في الدولة، ومن له أثر في التوجيه والتأليف، أو الأعمال القيادية وذلك كأنموذج لنجاح هذه المدرسة وفعاليتها في النهضة العلمية في الجزيرة العربية، وذلك ما قبل المدارس النظامية، والجامعات الإسلامية التي بدأت منذ ثلاثين عاماً أو أكثر بقليل، فنذكر أنه من عام ١٣١٩هـ أي دخول الملك عبد العزيز الرياض واستقرار حكمه بدأ توظيف القضاة من مدرسة أو مدارس آل الشيخ العلمية، أو مدارس تلاميذهم، وقلَّ أن تجد قاضياً من غير هذه المدرسة، ولعلَ ذلك يعود إلى الإعداد الكامن في اختيار الأشخاص المكلفين بأعمال القضاة في أطراف المملكة، وحتى أتت الكليات والمعاهد العلمية ثمراتها من عام ١٣٧٦هـ أولى دفعات التخرج وما قبل ذلك هم من المدرسة

المذكورة ، لذا فإنَّ حصرهم قد يعجز عنه الحاصر ، ولكن ذكر النماذج والأمثلة لمن هم في قمة الشهرة لعلمهم وفضلهم ومكانتهم وتأثيرهم، وهم كما يلي حسب المعرفة والخبرة.

١ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - : والذي واصل دراسته عليه حتى عام ١٣٥٧هـ ، حيث كلِّف بالقضاء في الدلم بالخرج ، والشيخ عبد العزيز أشهر من أن يُعرَّف ، فقد شاع ذكره وذاع في جميع الأصقاع ، ومناصبه معروفة، ومناقبه مشهورة ، وحتى وفاته - رحمه الله -كان يقوم بالدور القيادي الديني والتوجيه السياسي عند اللزوم.

٢ - العلامة سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - يأتي في الدرجة الثانية، وإن كان يتميز بالفهم لدقائق الأحكام الفقهية، وما ركب في طبعه من الحزم والجزم ، وإدراك أغوار الرجال ، فقد عرف بالقوة، ونصاعة الرأي، وتقييم الرجال ، بينما تميز زميله الأول بالبساطة وحسن العشرة مع حسن الظن واللطف والشفقة والرحمة ، مع تضلعه في علم الحديث ومعرفة أحوال العالم الإسلامي.

فكأنَّ وجود الاثنين في ساحة العمل يكمل أحدهما الآخر ، وذلك أنَّ طبيعة عمل كل واحد منهما يتفق مع جبلته وفطرته ، وكلاهما من مدرسة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم ، مع أنهما قد أخذا عن غيره كالشيخ سعد ابن عتيق، والشيخ صالح بن عبد العزيز ، والشيخ حمد بن فارس رحمهم الله.

٣- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : من أبرز تلامذته، وهو العالم الأصولي المحدث اللغوي صاحب المؤلفات المشهورة ، والذي جمع فتاوى ابن تيمية في سبع وثلاثين مجلداً ، كما جمع فتاوى علماء نجد في أحد عشر مجلداً أسماها : « الدرر السنية في الأجوبة النجدية » .

٤- الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي : كانت آخر مناصبه رئيساً عاماً للإشراف الديني على الحرمين الشريفين ، كما كان رئيساً للمحاكم الشرعية في المنطقة الشرقية ، ثم في الرياض ثم في مكة المكرمة.

٥- الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري : كان آخر أعماله رئيساً لديوان المظالم ، وكان الشيخ يعجب به أثناء الطلب ، غير أنه سافر إلى مصر ، وعاد منها وقد توقف عن طلب العلم لدى الشيخ مما جعل الشيخ يستنكر منه هذا الصنيع ، مع صلة المذكور بالشيخ واستشارته له.

٦- الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد : رئيس هيئة التمييز بالرياض وكان علماً فذاً ، درَّس في كلية الشريعة في بداية تأسيسها ، وله بعض المؤلفات في الفرائض وبعض الردود ، منها ما هو ردٌّ على الشيخ ابن محمود، وهي مطبوعة متداولة، وأول رئيس لتعليم البنات في المملكة - رحمه الله -.

٧- الشيخ راشد بن صالح بن خنين : كان تلميذاً للشيخ عبد العزيز ابن باز في الدلم ، ثم تتلمذ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم حتى تخَّرج

عام ١٣٧٦هـ فكان عضواً في الإفتاء ، ثم في رئاسة القضاء ، ثم رئيساً لتعليم البنات وأخيراً مستشاراً لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز – رحمه الله – .

٨- الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض : الكاتب والمؤلف، تخرَّج عام ١٣٧٦هـ وكان عضواً في الإفتاء ، ثم في رئاسة القضاء ، وترشح لعدة مناصب.

٩- الشيخ محمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق : كان آخر أعماله رئيساً لمحكمة ضرماء ، وكان في سن الشيخ أو أكبر منه ، وكان كثير الملاطفة والاختصاص بالمحادثة الخاصة ، وكان الشيخ يجله ويحترمه ، كما كان إماماً لمسجد الشيخ في شهر رمضان.

١٠- الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي الداعية الإسلامية في الجنوب ، وإن لم يتخصص في العلوم إلاَّ أنَّه كان تلميذ الشيخ في شبابه، ثم سافر إلى الهند ثم مصر ، ومنها إلى سامطة، وأقام دعوته حتى فتح المعهد العلمي في سامطة عام ١٣٧٦هـ.

١١- الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل : مفتي منطقة عسير ورئيس علمائها ، كان له دورٌ في الإرشاد والتوجيه والتعليم في منطقة عسير وما جاورها ، وهو عالم فقيه محدث فرضيّ ، ذو سلوك خاص يتميز به ، وهو كثرة الذكر ، فلا يكاد لسانه ينطق إلاَّ بالتكبير ، ترك المجتمع وانزوى في بيته ، إلى وفاته – رحمه الله تعالى – .

١٢- الشيخ صالح بن علي بن غصون : أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، اشتغل في التدريس ثم القضاء ، وله مشاركة في البرامج الدينية في الإذاعة ، وله مواقف مشهورة ، وصولاتٌ وجولاتٌ في مجال إنكار المنكر والأمر بالمعروف ، وهو فذٌّ في شهرته وصيته ومعرفة الناس.

١٣- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان : أحد أعضاء قضاة هيئة التمييز ، ولي القضاء في الأفلاج ، ثم في الدلم ، وهو عالم فقيه ، وله بعض التآليف من الكتب المفيدة ، وقد أتمَّ نظم الزاد المسمى بنيل المراد بدأه العلامة الشيخ سعد بن عتيق ولم يتمه، وأتمَّه ابن أخته عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان ، وفقه الله الملك المنَّان.

١٤- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الفريان : العالم والواعظ الناصح، من أشهر الدعاة ، وأكثرهم نفعاً ، تخصص في خدمة القرآن الكريم وتعليمه، فكان رئيساً لجماعة تحفيظ القرآن ، ذو غيرة دينية ، وحمية إسلامية ، أنعم الله عليه بأربع خصال : العلم والتجارة والعبادة والدعوة.

١٥- الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش : العالم العلاَّمة ، الفقيه ، ذو المكانة العلمية والشخصية اللامعة ، كان آخر أعماله رئيساً لمحاكم مكة المكرمة ،وله تعليقات على «مغني ذوي الأفهام» في الفقه الحنبلي - رحمه الله -.

١٦ - الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ : قرأ على الشيخ بعض المطولات ، وقد تتلمذ على العلامة الشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ عمر الملقبُ بفاروق زمانه ، كان رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد ، والمنطقة الشرقية ، ومعروفٌ جدته وشدِّته وشجاعته - رحمه الله -.

١٧ - الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ : والذي هو الآخر تتلمذ على الشيخ محمد بن إبراهيم في المطولات والشروح ، وكان - رحمه الله - ممن عُرف بالمهاجمة للمسؤولين ومصارحتهم في مجال الحق ، وكان حذراً فطناً فيما يمليه من أحكام ، وله مواقفٌ مشهورةٌ وأيادي مشكورةٌ عليه رحمة الله.

١٨ - الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل : كان عضو الإفتاء، بل من أبرز أعضائها ، ذو لياقة ولباقة ، حسن المظهر ، جيد المنطق ، يرتاح الشيخ لكلامه ، ويأخذ بآرائه ، وهو المتحدث الأول في مجلس الفتوى ، وله بعض التندر والنكت اللطيفة الخفيفة ، ويروّح بها عن جلسائه و محبيه من غير خروج عن نطاق الأدب ، ذو الخلق الحسن، أحيل للتقاعد بعد أن أمضى في القضاء خدمة طويلة ، كان أولها في المنطقة الجنوبية. عفا الله عنه.

١٩ - الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي : العالم الفذ ، والقاضي الماهر، كان عضواً في هيئة التمييز ، ويمتاز الشيخ البواردي بسرعة البديهة والإدراك ، وإدراك لحن الخصوم ، وإنجاز الأعمال ، كان - رحمه الله -

ينظم الشعر على البديهة ، وينطق السجع على البساطة ، جاءه رجل فحياه فقال : وعليكم السلام عدد ما طلع في السواري من غرس ، وعدد ما نبت للديك من ضرس ، وعدد ما تزينت عجوز لعرس ، توفي – رحمه الله – ، ورثاه حبيبه وصفيه الشيخ راشد بن خنين ، حيث كانا على وئام واتفاق منذ القدم ، وهو محبوب لشفافة طبعه ، وحلاوة نطقه – رحمه الله –.

٢٠- الشيخ العلامة حمد الجاسر : الأديب المشهور، شيخ الأدباء ، مؤرخ الجزيرة ، كان قد ولي القضاء ، ولكن ميوله الأدبي والتأريخي جعله لا يرتاح لأعمال القضاء ، فقدم استقالته ، فكان مديراً عاماً للتعليم بجانب الشيخ محمد بن مانع مؤسس التعليم النظامي في المملكة، ثم شارك في تأسيس المعاهد والكليات ، وأخيراً تفرغ للكتابة والبحث في تأريخ الجزيرة العربية وأصدر مجلته (العرب) حتى وفاته – رحمه الله –.

وبعد فهؤلاء من ذكروا من مشاهير ، وأبرز طلاب الشيخ محمد بن إبراهيم، ويمكن القول بلا تجاوز أنَّ كافة علماء المملكة ، وبالذات المنطقة الوسطى – وبالأخص من تولوا القضاء – هم ممن استفاد من مدرسة الشيخ محمد أو من تلامذته ، وهذا الفضل يعرفه العام والخاص رحمة الله عليه وعلى سلفه ، فهم أئمة الهدى ، وأنوار الدجى. جعل الله فيما قدّموه خيراً وبركة وفضلاً للعالمين ... والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد.

* * *

ثالثاً: مشاهد من سيرته

١- في عام ١٣٧١هـ في عصر يوم ما، أتى بعض الذوات والمحسوبين على الدولة برتبة وزير، ومعه ثلّةٌ من حشمه وخدمه، أتى إلى الشيخ برسالة شفوية من الملك عبد العزيز، فاستأذن على الشيخ قبل أن يعرف الشيخ سبب مجيئه، فرفض الشيخ مقابلته إلاَّ أنَّ هذه الشخصية أصرت على مقابلته لما يحمله من الرسالة الشفوية، فأمر الشيخ محمد أن يستدعى أخوة الشيخ عبد اللطيف لمقابلته، وأخذ ما لديه، فجاء الشيخ عبد اللطيف، وأخبر أنَّ الشيخ لا يرغب في مقابلته، وعليه أن يخبره بما يريد ليبلغ سماحة الشيخ، فأبا إلاَّ مقابلة الشيخ، فعاد الشيخ عبد اللطيف لأخيه وأخبره بأنَّ لديه أمراً من الملك عبد العزيز يرغب بتبليغه إياك مشافهة، فقال الشيخ: لا بأس، ولكن لا يسلم عليَّ، وعليه أن يدلي بما لديه على بعدٍ منّي. فرأيته وقد جلس على بعد من الشيخ وهو يتكلم بصوتٍ خافتٍ يُسمع الشيخ فقط من غير أن يسلّم الشيخ عليه أو هو يسلِّم على الشيخ، وذلك لما سمعه الشيخ من انحرافٍ في سيرة هذا الرجل.

٢- في عام ١٣٧٢هـ أتى رجل بيت الشيخ محمد ومعه تنكتان من عسل، وطلب من القهوجي ببيت الشيخ أن يخبر الشيخ بالتنكتين من العسل، وسمى نفسه، وبعد استلام العسل دخل الشيخ في المجلس وقد انصرف صاحب العسل، فأبلغ القهوجي الشيخ بالتنكتين

والشخص الذي أتى بهما ، فما أن انتهى كلامه ثار الشيخ وكاد يضربه ، ولكن ليس معه عصا ، وأمر بإخراج التنكتين خارج البيت، والبحث عن صاحبهما لاستلامهما ، فأخرجهما القهوجي من البيت ، وذهب مهرولاً للبحث عن صاحبهما ، فوجده قريباً من قصر الحكم ، قال لي القهوجي : فما إن رأيته حتى أخذت عقالي ، وقلدته في رقبته ، فكنت أَجُرُّه بشدة وقوَّة وأناوله لكماً وضرباً ، حتى وصلت بيت الشيخ ، وأمرته بحمل التنكتين ، وقد عَرَفَ من عملي معه قوَّة غضب الشيخ، وإنكاره عليَّ حين استلمت التنكتين ، وذلك لأنَّ الشيخ لا يتقبل مثل هذه الهدايا من مثل هذا الرجل.

٣- وبعد يومين من هذا الحديث أتى إلى بيت الشيخ أحد طلاب العلم، وهو الشيخ محمد بن مسلم بن عثيمين يحمل صندوقين صغيرين من الرطب، وطلب من الحاجب أن يسلمَّه للشيخ ، فرفض، وأخبره بما حصل منذ يومين من حكاية صاحب العسل ، ثم طلب مني أن أُدخلها على الشيخ في البيت ، فحملت الصندوقين الصغيرين من الرطب وناولتهما الشيخ وهو جالسٌ في مجلس قهوة النساء ، ووضع يده على الصندوقين ، ثم أمرني بتسليمهما لأم عبد العزيز، وهي جالسة قريبة منه ، وأمرها بفتح الصندوقين وتناول منها ، وأكل منها، وكنت أحمل معي في يدي تمرات منها.

من هنا ندرك الفرق بين الأول والثاني ، فالثاني أحد طلابه، وجاء بشيء قليل، وهو في بداية الثمار، وأظنّه جاء به من وادي الدواسر حيث لا يوجد في الرياض رطبٌ في ذاك الوقت ، والشيخ - رحمه الله - له مواقفٌ من طلبته وإخوانه وأحبابه ، غير العامّة وسواد الناس ، يدرك هذا في هذين الحدثين المتقاربين زمناً ، المختلفين سلباً وإيجاباً رحمة الله عليه.

٤ - سمعت الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم يقول : أتى رجلٌ إلى الوالد وهو في مكة المكرمة يسأله كفناً لوالده المتوفى لعدم قدرته على ذلك ، قال الشيخ إبراهيم : فأمرنا الوالد بتسهيل أمره بما يجهز به والده المتوفى ، وبعد عامين أتى الشخص نفسه في مكة المكرمة وعرض نفس الطلب ، فقال الشيخ : منذ عامين لم تدفن والدك ولم تقدر على تجهيزه ، فعرف الرجل أنَّ الشيخ عرف حيلته في التسول ، فانصرف من غير أن يكرر طلبه المزور.

٥ - كان لدى الشيخ أغنام تحت رعاية وإشراف أحد أفراد البادية في البر ، فجاء هذا البدوي وسلَّم على الشيخ كأنّه قادم من البر توِّه ، وبعد مصافحة الشيخ سأله: متى قدمت من البر ؟ قال البدوي : من قريب، ولكنَّ الشيخ قال له : إنك تقيم في البلد منذ زمن ولم نرك ، فأدرك البدوي أنَّ الشيخ عرف أنه مقيم ويعمل في الرياض ، وذلك حينما مسَّ الشيخ يد البدوي خشنة من أثر العمل ، بخلاف لو كان قادماً من البادية ، فلا يوجد في كفه هذا الأثر ، فاعترف هذا البدوي واعتذر من الشيخ عن ما قاله.

٦- حدّثني الأخ الشيخ سعد بن محمد بن إسحاق بن عتيق ، وكان ممن تخرج عام ١٣٧٦هـ وكلِّف بالقضاء ،غير أنه لم ينقد لأعمال القضاء، قال الشيخ سعد : مكثت سنة لم أعمل ، ثم أرسل إليَّ الشيخ برقية أن أتوجه إليه فوراً ، وحين مقابلة الشيخ والسلام عليه ردَّ عليَّ : مهجور مهجور بصوتٍ عالٍ مغضب ، قال : فعدت إلى منزلي، وبعد ثلاثة أيام رجعت إلى الشيخ فاستقبلني وردَّ عليَّ السلام ، وتلطف لي بالقول مما جعلني ألتزم بأعمال القضاء ، وهكذا – رحمه الله – في مواقفه مع كثير من الطلبة ، وبخاصة الذين لم يلتزموا بأعمال القضاء وهم أهلٌ له، فالشيخ سعد بن محمد بن إسحاق بن عتيق من أقدم الطلبة لدى الشيخ محمد ، وكان إماماً لمسجد الشيخ في صلاة التراويح سنوات متعددة ، وقد كلِّف بالقضاء والتزم به في الحلوة – حوطة بني تميم – ثم في القصب ، ثم في وادي الدواسر ، وأخيراً ترفّع على مرتبة قاضي تمييز في مكة المكرمة مسدداً موفقاً .

٧- في عام ١٣٨٨هـ تمَّ تكليف بعض الدعاة إلى منطقة الخليج وهي أول بعثة دعوية ، ذهبت إلى الخليج في الإجازة الصيفية ، وكنت ممن تشرف بحمل هذه الرسالة ، وبعد العودة تحدثنا إلى سماحته عن واقع الخليج العربي ، فقال – رحمه الله –: هل تجولتم في كل المناطق ؟ فقلنا: إلاَّ الفجيرة ، فابتسم قائلاً : سبحان الله أتخشون من الفجور ؟ وكان – رحمه الله – عند تعجبه يقول : سبحان الله.

٨- أتى إلى الشيخ بعض من كلِّف بالقضاء وهو غير راغب فيه فقال : إنني أصرع ، ولا أصلح للقضاء ، فقال الشيخ : على الحالين : إن كنت كاذباً فلا تصلح، وإن كنت صادقاً فلا تصلح، وأعفاه من القضاء.

٩- سأله في مجلسه محمد عطاء الهندي وكان كثير السؤال فقال : ماذا نصنع بالميت إذا مات في السفينة ؟ فقال الشيخ : ألقه في البحر ، فقال السائل: يطفح على البحر ، فقال له الشيخ : اعمل له مثقلاً، فقال السائل : يأكله السمك ، فقال الشيخ : إذاً احمله معك حيث شئت. ومن الجدير بالذكر أنَّ محمد عطاء الهندي مهاجر وطالب علم ، ولكنه قليل التحصيل عفا الله عنه.

١٠- حدث أن صدر تعميم من جهة حكومية فيه بعض المخالفة الشرعية ، فاستدعى الشيخ أحد المسؤولين ليبلغ جهة مصدر التعميم بقوله له : عليه أن يتراجع عن هذا الأمر حتى لا يقال أنَّ محمد بن إبراهيم يخالف الجهة المصدرة لهذا التعميم لمخالفة الشرع ، وهذا أسلوبٌ من أساليب تغيير المنكر والمخالفات الشرعية لدى سماحة الشيخ، وإذا لم يجد مثل هذا الأسلوب أعلن إنكاره المنكر إما في مسجده أو في مجالسه العامة في البيت أو غيره.

١١- سأله بعض الطلبة ولعله من صغارهم عن معنى : (هنوك) وهي

اسم من الأسماء الخمسة، فتوقف الشيخ قليلاً ثم قال: زاء وباء، من غير أن ينطق بها، فأدرك السائل الجواب باستحياء.

١٢- جاء رجلٌ من وادي الدواسر من أعيان البلاد، وأخبره بأنه قد تمَّ افتتاح مدرسة في قريته باسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأدرك الشيخ أنَّ هذا تمهيدٌ لكلام يريد أن يقوله، ثم قال الشيخ: ما عندك؟ فقال: القاضي في بلدنا فيه كذا وكذا، فما تركه الشيخ يكمل كلامه، بل أمر الجندي بطرده وإخراجه، فقد كان لا يسمع في القضاة كلام العامة فيهم.

١٣- جلس ذات يوم وهو منشرح الصدر فسأله أحد الجالسين عن ابنه الشيخ إبراهيم، فقال: هو بخير، غير أنه ذهب إلى لندن لمعالجة ابنه صالح، ثم تحدث الشيخ عن الإنجليز، وبعض البروتوكلات لملكة بريطانيا، وقال: يوجد لديها حرسٌ لا يتحرك وكأنه جماد، حتى جاء أحد يحركه فظنّ أنّه تمثال، ثم ركله برجله، قال: هذا متعجباً عن هذا النوع من الحراسة والتعبد لغير الله عزّ وجل.

١٤- تحدث سماحته عن حديقة هايد بارك، الحديقة العامة في لندن وما يجري فيها من حرية الكلام والأعمال، حتى أنَّ بعضهم تكلم في القدح بأنساب الإنجليز، وقال: كلهم أولاد الشجر، بمعنى أولاد زناة، قال: فالناس ومنهم الإنجليز يتعجبون من هذا ويضحكون، مما يدل على تبلد طبع الإنجليز، وعدم غيرتهم حتى فيما يتعلق بأنسابهم، استرسل في

هذا الحديث طويلاً ، ووصف ما يقع في هذه الحديقة بدقّة تامة ، وتصور شامل ، ولعله قد بلغه الخبر عما يجري في هذه الحديقة ، حيث قد سافر هو لبريطانيا للعلاج ، وذلك أيام آخر حياته.

١٥- تحدث الشيخ في مجلسه العام عن الحركة الفلسطينية ، وما يعانون من آلام الطغيان اليهودي ، وقال - رحمه الله - : لا أظن أنَّ الفلسطينيين قادرون على إقامة دولة فلسطينية، وطرد اليهود، وهذا أمر فيه بُعْد، ولكن الفلسطينيين بمثابة السرو في الغارب ، والمعنى أنهم يؤذون اليهود ، كما يؤذي السرو - الدابة الصغيرة - البعير في غاربه من غير أن يقدر البعير على الانتقام منه لصغره وحساسية موقعه من جسم البعير ، وهذا تشبيه مطابق للواقع.

١٦- تقدم أحد الطلبة في عام ١٣٧١هـ وتسنم منبر الجمعة ليعظ الناس بعد صلاة الجمعة ، أمره الشيخ بل زجره بالتخلي عن المنبر وترك الموعظة ، ولكنه أقسم ألاَّ ينزل حتى يقول كلمته ، فأمر الشيخ من حوله بإنزاله عن المنبر ، وذلك لأن هذا الرجل فيه تسرع وجرأة مع سوء أدب مع الشيخ، وهو يمني الجنسية ، فأمر الشيخ بتسفيره عن البلاد، وعدم عودته إلى الرياض ، وكان ذلك في ظرف ساعات من الزمن ، وتكلم الشيخ في مجلسه عن هذا الرجل وعدم انضباطه ، وتسرعه في الأحكام ، وهذا من مبررات تسفيره عفا الله عن الجميع.

١٧ - جرت عادة الملك سعود أن يزور بيوت المشايخ في أيام العيدين ابتداءً من بيت الشيخ محمد بن إبراهيم ثم الشيخ صالح بن عبدالعزيز ، وقد وقع الملك في إحراج عند زيارته للشيخ محمد حيث لا يوجد في مجلس الشيخ سوى كرسيين من الكنب ، وكان الأمير عبد الله بن عبد الرحمن عم الملك بصحبته في زيارة الشيخ ، ورأيت الملك سعود يتردد في جلوسه على الكرسي وترك عمه واقفاً غير أنَّ الأمير عبد الله أشار إلى ضرورة جلوسه بجوار الشيخ على الكرسي ، وظل الأمير واقفاً وذلك في عام ١٣٧٣هـ حين كان استعمال الكراسي في ذلك الوقت قليلاً.

١٨ - اتصل الملك سعود تلفونياً بالشيخ محمد وسأله عن جواز الحج بالطائرة من سماء عرفة ولم ينزلوا في الأرض حيث كانوا في أداء مهمة؟ فأجاب الشيخ بجواز ذلك ، وأنَّ سماء الشيء يقوم مقام أرضه ، وحجهم جائز بهذه الصورة ، والحال ما ذكر ، وهكذا فإن سماحة الشيخ على صلة وثيقة بالملك في كل ما قلَّ أو جلَّ في الحياة الخاصة والعامة رحمهما الله.

١٩ - سألني ذات يوم عن أعمامي ، ويعني بهم أعمام الوالد أولاد الشيخ حمد بن عتيق فلم أجبه لعدم معرفتي بهم لصغر سني ، فقال : أولاد جدك الشيخ حمد عشرة هم : عبد العزيز وعبد الرحمن و عبد اللطيف وعبد الله الأول ، وعبد الله الثاني ، ثم توقف وقال : وشيخنا

الشيخ سعد وأخوه محمد ثم جدك إسماعيل وإسحاق وعلي ، وهؤلاء عشرة، عرفتهم؟ فقلت : نعم ، فأمرني بِعَدِّهِم على النحو الماضي.

٢٠- من سيرته الذاتية أنه كان يجلس على متكئين متربعاً ، وهذا قبل وجود كراسي الكنب ، وكان قليل الحركة ، وربما وضع يداً على متكٍ وأخرى على المتك الثاني ، وهو يتكلم ، فلا تسمع إلاَّ نبرات صوته من غير حركة بيديه ، وكان كثير التفكير، وقد يسرح في تفكيره حتى ينسى من حوله.

شاهدته مراراً تصب له القهوة ويأخذ الفنجان بيده، ويرشف منه رشفةً أو رشفتين، ويبقى في يده من غير أن يناوله صباب القهوة ، وقد تصب له القهوة ويبقى في تفكيره من غير أن يتناول فنجان القهوة ، وقد يكلمه القهوجي بقوله : سم ، بمعنى : خذ ، فلا يجيبه إلاَّ بعد حين – رحمه الله –.

وبعد سرد هذه المشاهد فإن ذلك يعطي نماذج من سيرة شيخنا وأعماله ومكانته الاجتماعية والعلمية والقيادية ، فقد كان بإجماع مرجع العلماء والأمراء.

جاء رجل إليه ، فقال : الله المستعان بدأت هذه الدعوة بـ محمد بن عبدالوهاب وها هي تختتم بمحمد بن إبراهيم ، فرأيته تسكب من عينيه دمعات .

وسمعت الملك فيصل في مجلس العزاء وهو يقول : رحمة الله على الشيخ ، لقد فتح علينا ثغرات لا نعرف كيف نسدها .

وهكذا العظماء بعظم أعمالهم ، تبقى ذكرياتهم والحديث عنهم في جوانب متعددة من حياتهم ، فالعلماء ورثة الأنبياء ، فبقدر ما يرثون بقدر ما يتشبهون بالأنبياء عليهم رحمة الله. وقد تبدو هذه المشاهد في نظر البعض غير مهمة وليس هناك حاجة إلى تسجيلها ، فهي أشبه بسيرة ذاتية، ليست ذات أهمية في مجال تحقيق العلم والمعرفة ، ونقول : إنَّ هذا لا يعنيك دعه لغيرك كي يستفيد ، فجزئية الشيء تدل على كلِّه ، والبعض يدل على الكل ، وهذا لمن فهم وأدرك ...... والله ولي التوفيق.

* * *

رابعاً: بعض أصفيائه وأحبابه

١ - العلامة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري : شاهدته غير مرة إذا دخل الشيخ عبد الله العنقري ينهض الشيخ محمد من مجلسه ، ويخطو إليه خطوات مستقبلاً إياه ، ثم يجلسه في مجلسه الخاص به ، وهذه خاصية للشيخ عبد الله العنقري لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، ثم يجلس الشيخ محمد عن يساره جلسة التلميذ المتأدب مع أستاذه ، ولا يتحدث الشيخ بل يستمع إلى ما يقوله الشيخ العنقري ، ولسان حاله يقول قولة الشاعر:

يا ضيفنا لو زرتنا لرأيتنا نحن الضيوف وأنت رب

وسرُّ احترام الشيخ محمد للشيخ العنقري هو أنَّ الشيخ العنقري من العلماء المبرزين ، له يدٌ في الإصلاح ، كان قاضياً في المجمعة وما يتبعها من مناطق سدير والزلفي ، وله حاشية على الروض المربع شرح زاد المستقنع ، كما أنَّ كبر سنَّه جعله محل احترام وتقدير لدى سماحة الشيخ ، وما رأيته يكثر حفاوة وتقديراً كما هو مع الشيخ عبد الله العنقري ، وكلاهما زملاء في الطلب ، فهما تلميذان مبرزان للعلامة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، رحم الله الجميع وغفر لهم ، إنَّه سميع مجيب.

٢- الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك : سمعت الشيخ غير مرة يثني على هذا الرجل ويذكر إخلاصه وزهده وتأثيره على البلدان التي ينصب فيها ويذكر من آثاره في الجوف الشيء الكثير ، والشيخ فيصل - رحمه الله - مع فضله وعلمه كان أحد المجاهدين الذين اشتركوا في الغزوات أيام توحيد الجزيرة مع الملك عبد العزيز ، له بعض المؤلفات في التفسير والحديث وشروح لبعض المختصرات كالأجرومية والرحبية رحمة الله عليه.

٣- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : سمعت الشيخ يذكر عن هذا الرجل حرصه على طلب العلم وتحرير المسائل ، فإنه لا يكل من المطالعة والكتابة ، وقال : إنه رجل يستفيد من وقته في دينه ودنياه ، وقال الشيخ محمد : عجبت من هذا الرجل ، زرته في مرضه ، فوجدت عنده الكتب يقرأ ويحرر.

ومن المعلوم أنَّ الشيخ عبد الر حمن بن قاسم هو الذي جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، كما جمع « الدرر السنية » أحد عشر جزءاً ، وله مؤلفات مطولة ومختصرة ، كان قد تتلمذ على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقرأ على الشيخ محمد بعض ما يكتبه ويحرره من الفتاوى والمسائل، عليه رحمة الله وبركاته.

٤- الشيخ أحمد محمد شاكر : المحدث المصري ، كان يجلس عند

الشيخ في زيارته للمملكة ، وكان الشيخ يجلّه ويحترمه ، وربما جرى البحث معه في علوم الحديث ، فيستمع إليه استماع المستفيد والمسترشد مما عند الشيخ شاكر ، ومن المعروف اختصاص الشيخ أحمد شاكر بعلوم الحديث ، وقد قام بتحقيق وتخريج مسند الإمام أحمد ، وكان الشيخ رحمه الله يحثه على إنجازه وإتمامه ، غير أنَّ المنية وافته قبل أن يتمَّ عمله رحمه الله، وكان يتردد على سماحته، ويجلسه في مجلس الاحترام والتقدير.

٥- محمد حامد الفقي : رئيس أنصار السنة في مصر كان ينزل ضيفاً على الشيخ، وكان الشيخ يخصه بجلسة بعد العصر ، ويصغي إليه كثيراً فيما يقوله عن أحوال مصر الدينية والاجتماعية والسياسية ، ولكن قلَّ أن يدخل معه في البحث في المسائل العلمية ، بل إنَّ الشيخ حامداً يطلب من الشيخ محمد توجيهه في التوحيد وما يخالف به أهل البدع ، ومن المعلوم أنَّ الشيخ محمد حامد الفقي يمتلك مطبعة نشر فيها كثيراً من كتب مشايخ وعلماء أهل نجد على نفقة الملك عبد العزيز ، ومنها ما هو على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع آنذاك.

٦- الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي : المحدث الذي كان أحد أعضاء هيئة التدريس في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة وقبل ذلك في المدينة المنورة بدار الحديث.

كان الشيخ – رحمه الله – يظهر له المحبة والإكرام ، ويصغي إليه كثيراً وربما جرى البحث معه في مسائل علم الحديث والرجال ، وسمعت الشيخ عبد الرحمن مرة يقص على الشيخ حكاية ضبٍّ ، قال الأفريقي : ذبحته بكرهٍ من أهلي ، وبعد أن وضع في القدر وأوقدنا عليه النار تحرك الضبّ ، فقلت لأهلي : خلاص أخرجوه من القدر نخشى أن يتحرك في بطوننا ، فضحك الشيخ محمد، وقلَّ أن يضحك ، ولكن الشيخ عبدالرحمن كان يقص بأسلوب فيه عجمة ، وكان يجتمع بالشيخ في كل ليلة بعد صلاة المغرب في الجلسة العامة ، وله دروس أسبوعية في مسجد الشيخ محمد في علم الحديث ، وتوفي الأفريقي – رحمه الله – وأوصى على أبنائه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، فرحم الله الجميع رحمة واسعة.

٧- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : كان الشيخ يجلُّه ويصغي إلى كلامه ، وربما استشاره في بعض الأشياء ، ومنها ما شاهدته حين وصلت برقية من ألمانيا لعلها استفتاء أو طلب حضور اجتماع في ألمانيا ، فأراد الشيخ عرض الموضوع الخاص بهذه البرقية على الشيخين عبد الرحمن ابن يوسف ، والشيخ الأمين ، فأعطيا رأيهما في الموضوع ، فكان الشيخ – رحمه الله – يستمع كثيراً إلى الشيخ الشنقيطي ، وربما جرى البحث معه في دقائق اللغة وأشعار العرب ، وعلم المنطق والفلسفة ، وإن كان

الشيخ – رحمه الله – لا يوافق الشنقيطي في دراسة علم المنطق ، وقد عرض الشيخ الشنقيطي عندما رأى الشيخ يستمع إلى كلامه في المنطق ، عرض عليه أن يدرس في كلية الشريعة ، ولكن الشيخ أجابه : من تمنطق فقد تزندق ، ومن الجدير بالذكر أنَّ الشيخ العلامة الشنقيطي أحد الأفذاذ في علم التفسير واللغة والفقه والحديث ، وله تفسير القرآن الكريم «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» رحم الله الجميع.

٨- راشد بن كليب : أحد تجار الرياض ، سمعته مرة يقول عنه في مجلسه: هذا الرجل جادٌ ونزيه ، ولكن الناس لا يتركون أحد ، وكان ابن كليب هو الذي قام بالإشراف على تعمير جامع الرياض ، وكان على صلة قوية بالشيخ ، حيث يستشيره في بناء الجامع ، والذي أنهاه في ٩ أشهر ، بدأ به في محرم عام ١٣٧١ هـ وصلَّى فيه الملك عبد العزيز أول جمعة من رمضان من نفس العام.

٩- الملك عبد العزيز: كان الشيخ يتحدث عن قوته الجسميَّة، وشجاعته، ومن المعلوم صلة الشيخ بالملك عبد العزيز صلة المستشار والمرجع للشؤون الدينية ، وكان الشيخ مع مجموعة العلماء في كل خميس ، يجلسون في القصر بالصفاة، ويجري الحديث في شؤون المسلمين ، ولكن قلَّ أن يتحدث في مثل هذا المجلس غير الملك والشيخ محمد بن إبراهيم ، وعلى منوال الملك عبد العزيز استمرت هذه

الجلسة مع خواص العلماء إلى يومنا هذا ، غير أنه تغير اليوم بدلاً من يوم الخميس صار يوم الاثنين والله وليّ التوفيق.

١٠ - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز : بعد أن قَدِمَ الشيخ من الدلم أكرمه سماحة الشيخ محمد وعمل مأدبة كبيرة حضرها كثير من المشايخ والعلماء ، وكان الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم يكثر من الثناء عليه في مجلس الشيخ محمد ، وكان الشيخ يستشعر منه الرضا والإعجاب بما يقوله الشيخ عبد اللطيف عن الشيخ ابن باز ، ولكن الشيخ محمداً لم يتكلم بمدح أو غيره ، ولكنه في قرارة قلبه يجله ويحترمه ، ويراه من أخص تلامذته ، ومن له باع في العلم والتفقه والدعوة.

١١ - الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد : يعتبر من أخص تلامذة الشيخ محمد ، وقد عيَّنه في القضاء في سنِّه المبكر في الرياض ، ثم المجمعة، وكان الشيخ عبد الله له مواقف صلبة وقوية وشجاعة ، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ الأحكام الشرعية .

تقدم الشيخ ابن حميد بالاستقالة عن أعمال القضاء وبقي في التدريس إلى أن رشح رئيساً للإشراف على الحرمين مكة والمدينة.

١٢ - الشيخ عبد الرزاق عفيفي : كان الشيخ يحترمه ويستشيره فيما يتعلق باختيار الطلبة المتخرجين من كلية الشريعة للقضاء ، وأحياناً يرفض الشيخ رأيه ، وقد حدث أن رشح الشيخ عبد الرزاق أحد

الخريجين من منطقة جيزان يدعى جبران ، فأراد الشيخ عبد الرزاق الاعتذار له من القضاء، فقال للشيخ: إنه صغير ، وقال الشيخ محمد : إنه سيكبر ، فقال : إنه أمرد لا لحية له ، فقال الشيخ محمد : سنرسله إلى جماعته ، وكان الشيخ عبد الرزاق يقف من الشيخ موقف الهيبة والإجلال ، حتى تكاد تعد كلماته عند ما يخاطب سماحة الشيخ محمد - رحمه الله -.

١٣- محمد بن بخِّيت : كان هو القائم على شؤون الطلبة من تنزيلهم والإشراف عليهم ، وتوزيع مكافآتهم ، التي مقدارها ١٢ ريالاً شهرياً لكل طالب، وكان محمد بن بخِّيت على صلة بالملك عبد العزيز حيث كان يقرأ عليه بعد صلاة العصر في كل يوم رياض الصالحين بالمربع ، وكان الشيخ - رحمه الله - قد اتخذه أمين سره فيما يتعلق بالطلبة ، وتبليغ حاجاتهم إلى الملك عبد العزيز - رحمه الله -.

١٤- علي بن عبد الله بن خميس : جاء خلفاً لمحمد بن بخِّيت ، بل قد جعله الشيخ وزيراً له ، وكان صادق اللهجة محباً للطلبة ، مواسياً للفقراء والمحتاجين ، رأيته يتفقد غرف الطلبة ليلاً ، وربما يوزع عليهم بعض الصدقات من الزكاة ، تصرف على يد الشيخ محمد ، زيادة على المرتب الشهري، وكان الشيخ يأخذ برأي علي بن خميس في كثير من شؤون الطلبة ، ولا يتكلف في مداعبته ، حدث يوماً أن تكلم علي بن خميس

تلفونياً إلى مكة مخاطباً الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ، فقال الشيخ: كلَّمت مكة يا علي ؟ قال : نعم ، قال : فكِّلم الدرعية ، فقال : لا تلفون فيها ، قال : عجباً لك تُكلِّم البعيد ولا تُكلم القريب ، ومثل هذا يحصل من الشيخ أحياناً مع غيره.

١٥ - سويلم بن محمد السويلم : كان مراقباً للطلبة في المسجد ثم في معهد إمام الدعوة مساعداً للشيخ علي بن خميس ، وكان سويلم غالباً ما يكون بجوار الشيخ في جلساته سواءً في البيت ، أو في المسجد ، فهو بمثابة العين ، حدث أن قرأ بعض الطلبة في الكتاب بدلاً من حفظه ، فقال سويلم جهراً ، والشيخ يسمع : يا فلان (لا تقرأ في الكتاب) فغضب الشيخ على هذا الطالب المخادع.

لذلك فإن الطلبة يأخذون حذرهم من سويلم دائماً.

١٦ - عبد الله الصانع : سكرتير مكتبه الخاص ، والذي تسلَّم ختم سماحته ، وقد اختير له مكتب مستقل ، عليه لافتة كبيرة (المكتب الخاص) وهو يعنى بالشؤون الخاصة ، وقد لازم سماحة الشيخ إلى أن توفاه الله ، وكان عبد الله الصانع ذا رَوِيّة ودراية بالناس ، وبمجرى المعاملات ، وكان يحمل المعاملات الكثيرة ثم ينجزها بعد عرضها على سماحة الشيخ عرضاً موجزاً ، سمعته مرة يقول للشيخ : وردنا كذا برقية عدها بالمئين تهنئة بالعيد ، فقال الشيخ : أجب عليها.

وسمعت أنَّ الشيخ عبد الله الصانع قد أوصى به الشيخ عبد الله العنقري إذ كان هو الكاتب له.

١٧- عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ : شقيقه ووزيره وساعده الأيمن في كثير من القضايا الخاصة والعامة ، ولعل الشيخ محمد يخص الشيخ عبد اللطيف ببعض آرائه وأفكاره ، لما فيه من سداد وحنكة ، ومعرفة الأحوال ، وكان نائباً له في إدارة المعاهد والكليات، وكما هو معلوم أنَّ الشيخ عبد اللطيف على جانب كبير من الخلق والتواضع ، فكان الناس يلجأون إليه ويتوسلون به في قضاء حاجاتهم التي يقدر عليها، كما كان مشاركاً للشيخ في التعليم في المسجد رحمة الله عليه.

١٨- الشيخ عبد الملك بن إبراهيم : شقيقه الثاني ، وقد كان الشيخ عبد الملك رئيساً لهيئات الحجاز ، بل هو بمثابة المستخلف في شؤون الحجاز الدينية.

وكان الشيخ عبد الملك بن إبراهيم على جانب كبير من العلم والفضل والعبادة مما جعله محل ثقة الدولة ليكون رئيساً لهيئات الحجاز والمناطق الجنوبية استقلالاً ، يراجع أخاه في كثير من شؤون الحجاز الدينية ، مما يجعل الشيخ محمداً على علمٍ بما يدور بالأماكن المقدسة ؛ مكة والمدينة ، ليقوم هو بدوره بالتوجيه والإرشاد.

١٩- إسماعيل بن سعد بن عتيق كاتب الأسطر : إشارة إلى بداية المعرفة بالشيخ عام ١٣٦٧هـ ثم في عام ١٣٧١هـ كان المدرس في بيت سماحة الشيخ القرآن الكريم لبعض أبنائه وأحفاده ، ثم موظفاً عام ١٣٨٥هـ ، ومما جعل هذه الصلة وثيقة بسماحة الشيخ ما يكنُّه من احترام وتقدير لأسرة آل عتيق نظراً للرابطة العلمية حيث كان هو من تلامذة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وعمه الشيخ عبد الله تلميذ الشيخ حمد بن عتيق.

وكان الشيخ - رحمه الله - يخص هذا الرجل بالرِّعاية والعناية منذ الطفولة إلى أن أعفاه من منصب القضاء ، وتكليفه بعمل الدعوة ، تابعاً للإفتاء بدلاً من رئاسة القضاة ، وهذا مما لا ينساه لسماحته - رحمه الله -.

٢٠- عبد العزيز بن شلهوب : كان هو القارئ للشيخ محمد في الكتب المطولة ، كالتفسير والتاريخ ، وكان حسن الصوت ، قليل اللحن ، وكان الشيخ - رحمه الله - يخصه باللطف والعناية حتى كأنه أحد أبنائه ، بل هو الصديق الحميم لابنه الشيخ عبد العزيز بن محمد ، وكان - رحمه الله - عفيف اللسان ، محباً للإخوان. حدث أن أخطأ ذات مرة في كلمة بقوله : وهذه لغة - حِمْير - بكسر الحاء وتسكين الميم - قرأها حَمِيْر بفتح الحاء وكسر الميم وإسكان الياء ، فقال الشيخ : سبحان الله وهل للحَمِيرِ لغة: وهذا نادرٌ جداً أن يلحن ، ولكنه حدث هذا مرة ، فكان محل تعجبٍ للشيخ - رحمه الله -.

أقول : هذه أسماء من ذكرت مثالاً ، وليس حصراً ، ولكن اخترت من هم على صلة بالشيخ دوماً ، ونوعت هذه الأسماء من العلماء والعاملين معه، وإلاَّ فإنَّ محُبّي الشيخ ومن يحبهم كثير ، لا يمكن حصرهم وتعدادهم ، ولعل في ذكر بعض أحوال وقعت لهم مع الشيخ تنبي عن كمال هذا العَلَم ونضجه وتفكيره ، فالشخص من أعوانه ، والمرء بإخوانه، فكان هذا الشيخ كما سجله التاريخ.

والله يشهد وهو خير الشاهدين

* * *

خامساً : أعماله ومناصبه

١ - كان أهم أعماله منذ عام ١٣٣٩هـ حتى عام ١٣٧١هـ هو التدريس في مسجد الشيخ عبد الله في دخنة ، حيث كان خَلَفاً لعمه الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف ، فإليه ضربت آباط الإبل من أطراف نجد والحجاز واليمن، وكان مسجد الشيخ بمثابة الجامعة لتدريس فنون العلم ، واستمرار الدروس طوال الأعوام ، وذلك بصرف مرتبات لهم شهرياً ، وصرف مكافآت لهم سنوية ، تدعى بكسوة الشتاء، وبعض مصاريف من التمر والأرز ، كما هيَّأ لهم مساكن تدعى بـ (بيوت الإخوان) وبنى لهم على استطالة دكاكين في دخنة شرقاً وغرباً بطول مائة وخمسين متراً تقريباً، غُرَف تدعى بالرباط إلى غير ذلك من المحفزات التي دعت إلى تكاثر الطلبة في مسجد الشيخ ، وكان الشيخ - رحمه الله - بمثابة الوالد والمعلم والرئيس والمرجع ، الكل في الكل.

٢- وفي عام ١٣٧٣هـ تمَّ افتتاح دار للإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية ، وتولّى سماحته مهامّها ، فكان يدعى بالمفتي ، وقد كُتب على أوراق مراسلته المفتي الأكبر ، فنهى - رحمه الله - عن ذلك ، ورفض تلقيبه بهذا اللقب إذ كان هذا اللقب لافتاً لأنظار بعض الطلبة.

وجرى الخوض في هذا اللقب ، فحسما للخوض وعدم التطاول بالكلام أمر سماحته بإلغاء هذا اللقب والإبقاء على كلمة المفتي مع جوازه وعدم مخالفته للشرع.

وبجانب الإفتاء كان مشرفاً على الشؤون الدينية بصفة عامة من غير تخصيص ولا تحديد مكان في المملكة .

حدث أن تولّى إمامة مسجد في الأحساء بعض من عُرف ببدعته ، فأمر - رحمه الله - بأن يعزل عن الإمامة، ويختار غيره من أهل السنة .

هذا وقد اختار - رحمه الله - من يعينه على التحضير ، وتحرير الفتاوى، أربعة من العلماء المبرزين ليكونوا بجانبه لتلقي الاستفتاءات والعرض على سماحته ، ومدارسة الاستفتاءات، والإجابة عليها بختم سماحته.

وقد عيَّن نائباً له في الإدارة ابنه الشيخ إبراهيم بعد تخرجه في كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ.

٣- وفي عام ١٣٧٠هـ تمَّ افتتاح المعاهد العلمية ، فكان هو الرئيس والمشرف على المناهج التعليمية ، وكان نائبه في إدارة المعاهد أخوه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، ويساعده الشيخ حمد الجاسر ، تمَّ افتتاح أربعة معاهد في الرياض وبريدة وسامطة والمجمعة ، تلا ذلك افتتاح كلية الشريعة ثم كلية اللغة في الرياض ، وكان - رحمه الله - يتخول المعاهد والكليات بزيارته وتوجيهه في الفصول الدراسية وقاعة المحاضرات ، كما كان وثيق الصلة بالعلماء المدرسين ، ومنهم العلامة الشيخ المفسر محمد الشنقيطي ، والشيخ المحدث عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي ، والعلامة الأصولي الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، والعالم بتقويم البلدان

الشيخ محمد عبد الرحيم ، وعلماء النحو والصرف واللغة : يوسف الضبع وعبد اللطيف النمر ، و محمد القط ، من علماء الأزهر المبرزين عدا الشيخين الشنقيطي ، والإفريقي ، ومن علماء نجد الشيخ : عبد الله الخليفي وعبد العزيز بن رشيد ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، فكانوا بجملتهم الجهة التعليمية العليا في المملكة ، ورئيسهم الشيخ محمد - رحمه الله -.

٤- وفي عام ١٣٧٦هـ تم افتتاح رئاسة القضاة في المملكة كان هو الرئيس في المنطقة الوسطى والشرقية حتى عام ١٣٧٨هـ ، ثم كان رئيساً لقضاة المملكة بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن الذي كان يشرف على قضاة الحجاز ، فكان يدعى - رحمه الله - بالمفتي ورئيس القضاة ورئاسة القضاة على إطلاقها في (التعيين ، والعزل ، والتأديب ، و تمييز الأحكام) وهو المرجع لكل ما يتعلق بالقضاة ، وكان - رحمه الله - يتخفف من الأعمال الإدارية والروتين الرتيب ، وقد وكل هذا إلى فضيلة نائبه في رئاسة القضاة نجله الأكبر الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

حدث أن حصل خلاف مع موظف صغير ، فطلب من سماحة الشيخ النظر في موضوعه ، فأجاب - رحمه الله - ببساطة : موضوعك عند عثمان الحقيل ، وكان ذاك مديراً عاماً لرئاسة القضاة ، فقال الموظف : أنت رئيس القضاة ، فقال : صحيح ولكني لست برئيسك.

فكانت سياسته في الإدارة اختيار الأفضل لمن يعينه على العمل ، ثم إعطاؤه الصلاحية في كل ما يتعلق بالأعمال الإدارية ، وكان – رحمه الله – يخصص وقته فيما هو أهم.

هذا كما تمّ اختيار أعضاء لرئاسة القضاة بجانب سماحته.

٥- وفي عام ١٣٧٩هـ تم افتتاح رئاسة تعليم البنات بالمملكة ، فكان هو المشرف والموجه لتعليم البنات ، وقد اختار فضيلة الشيخ ناصر بن حمد الراشد رئيساً مباشراً لها ومرجعه الشيخ محمد – رحمه الله – خلفاً للشيخ عبد العزيز بن رشيد.

٦- وفي عام ١٣٨١هـ تم افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية فكان هو رئيسها ، وقد اختار نائباً له سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ، ومما هو معلوم أنَّ الجامعة الإسلامية افتتحت بالمدينة خصيصاً للطلاب من أبناء العالم الإسلامي ، ونسبة الطلاب السعوديين فيها قليلة جداً مائة دولة أو تزيد ، فكان الشيخ – رحمه الله – موجهاً لهذه الجامعة باختيار مناهجها ، كما كان من توجيهاته تعيين مجلس أعلى للجامعة يضم نخبة من علماء العالم الإسلامي كجهة استشارية لما يجب أن يكون في الحاضر والمستقبل ، وتسيير أعمال الجامعة غير الإدارية والمالية ، فكانت جامعة إسلامية. بمعناها الصحيح ، سيما وأنَّ الشيخ عبدالعزيز بن باز الممثل للأبوة والمعلم الصادق الناصح ونائب الرئيس ، وبهذا

الصدق حسن الإشراف ، وآتت الجامعة ثمارها ، سيما وأنَّ الدولة السعودية بقيادة رائد التضامن الإسلامي هو المشجع الأول على استمرار هذه الجامعة حتى آتت ثمارها ، ولا تزال والحمد لله موئلاً لطلاب العلم من أصقاع المعمورة.

٧- وفي عام ١٣٧٩هـ تمَّ تكوين رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكان رئيساً لها ، وكان الأمين العام معالي الوزير السابق محمد سرور الصبان ، والرابطة منظمة عالمية شعبية مواردها المالية من المملكة العربية السعودية ، وهي تضم نخبة من العلماء والسياسيين يمثلون دولهم الإسلامية وبعض الأقليات في الدول غير الإسلامية ، والغرض من تكوين الرابطة دراسة أحوال المسلمين في العالم، وبالأخص الأقليات في الدول غير الإسلامية ، وكان للرابطة دورٌ فعال برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – إذ كان الموجه الأول والرئيس في جميع المجالس الدورية ، والملك فيصل – رحمه الله – هو صاحب الفكرة لهذه الرابطة سيما وأنَّ النشاط الشيوعي والاشتراكي امتد نفوذه إلى دول عربية وإسلامية ، ومن هذا كان للرابطة دورٌ في حركة التضامن الإسلامي ضد التكتل الشيوعي أو الاشتراكي أو القومي ، وذلك بوسائلها المتعددة كدعم المشاريع الإسلامية والإعلام واللقاءات المتكررة بين رجالات العلم والسياسة في مكة المكرمة.

٨- وفي عام ١٣٨٥هـ صدر الأمر الملكي بافتتاح مكتب الدعوة تابع لدار الإفتاء مهمته بعث الدعاة إلى الله في العالم الخارجي من متخرجي الجامعة الإسلامية في المدينة بتوجيه من سماحته، وتحت إشرافه تمَّ اختيار عدد من الدعاة إلى الله عزَّ وجل في دول إفريقية، كان لصاحب هذا القلم شرف الاستجابة للدعوة إلى الله في غرب إفريقيا، وبالتحديد في نيجيريا أكبر دول إفريقيا الغربية مساحة وسكاناً، مكث بها سنة كاملة، وكانت صلته بسماحة الشيخ صلة التلميذ بأستاذه، فكانت التقارير تتلى على سماحته ليطلع على أحوال العالم الإسلامي بواسطة معالي نائبه في دار الإفتاء، ومن هنا ندرك فيما مضى أنَّ روافد العمل الإسلامي والتي تتمثل في الجهة التعليمية الجامعة الإسلامية في المدينة، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، ودار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية في الرياض، كلّها تتوجه إلى دعم حركة التضامن الإسلامي، وكلها بإشراف ورئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله وبركاته.

٩- دوره في الإعلام: لم يكن لعلماء نجد دورٌ إيجابي في الإعلام عموماً، بل على العكس من ذلك، فإنَّ الكثير منهم يمج أجهزة الإعلام، وبالأخص الراديو والتلفاز، أما الصحافة فللكتاب الإسلاميين بعض الدور في تخفيف ما ينشر فيها إلاَّ أنَّها لم تكن صلة إشراف وتوجيه، ولكنَّه نقد وملاحظة، وقد عمد الشيخ - رحمه الله - إلى إنشاء مجلة

أسماها (مجلة راية الإسلام) يرأسها الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، ومدير تحريرها الشيخ صالح اللحيدان ، ومن كتابها الشيخ زيد بن فياض، وحدث أنه كتب الشيخ زيد مقالاً عن الدروز في لبنان ، نقل فيه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم ، فاحتج دروز لبنان إلى الملك سعود ، فأمر الملك سعود بإيقاف الكتابة عن الدروز، فراجع الشيخ زيد سماحة الشيخ في الأمر ، فأمر سماحته الشيخ زيد بن فياض بالاستمرار في الكتابة عن الدروز أو غيرهم من أهل البدع ، وقال : سأراجع الملك سعود في الموضوع ، ثم تأسست مؤسسة الدعوة ، فكان هو رئيسها، ولا زالت تصدر والحمد لله.

١٠ - دوره في السياسة والحكم ، قد يفهم البعض أنَّ سماحة الشيخ هو مختص بالنواحي الدينية الدعوية منها والقضائية ، غير أنَّ واقع أعماله والحمد لله يشير إلى أنه الرجل الأول في الإشراف على إصدار الأحكام الشرعية ، ومَن عداه فهو جهة تنفيذ للأحكام .

وفي ختام ذكر أعماله ومناصبه قد يظن البعض ما ظنَّه الكثير من حياته أنَّ سماحة الشيخ يتقاضى على كل وظيفة من الوظائف السابقة مرتباً خاصاً بكل وظيفة ، والأمر على خلاف ذلك ، فإنَّ سماحة الشيخ أعلى وأرقى أن يكون ممن تكون دنياه بين عينيه ، فقد حدثني أمين الصندوق بدار الإفتاء عبد الرحمن بن سعد بن حقان قال : سماحة الشيخ ليس له

اسم في المسيرات للرواتب كسائر الموظفين ، ولكني آخذ مخصصاته من وزارة المالية مباشرة بتفويض من سماحته ، والمعنى أنه ليس كسائر الموظفين الذين يعملون على مسميات الوظائف كالوزير أو الوكيل أو غير ذلك من كبار الموظفين وصغارهم ، ولكنّ الشيخ يتقاضى حاجته من بيت المال من غير خضوعٍ للروتين الوظيفي ، كما أنَّ الشيخ يكرر لدى محبيه براءته من تسمية أعمال القضاء بالوزارة أو الوزير ، ولهذا رفض سماحته في حياته تسمية ما يتعلق بالقضاء والقضاة بوزارة العدل إلى أن توفي رحمه الله ، وتكونت وزارة العدل ، وعيِّن أول وزير لهما الشيخ محمد بن حركان ، ثم الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ ...... إلخ .

وقد أحيل إلى التقاعد وخلفه بالنيابة الشيخ محمد الجبير .

ثم صدر الأمر الملكي بتعيين نجله الأصغر الدكتور عبد الله بن محمد ابن إبراهيم وزيراً للعدل خلفاً لأخيه ، علماً بأن هيئة القضاء العليا هي السلطة العليا فيما يتعلق بالقضاء والقضاة ، والوزارة هي تشكيل إداري لها اختصاصاتها الإدارية والتنظيمية ، وعلى هذا فإن ما رآه سماحة الشيخ من عدم انضواء القضاة في مسمى الوزارة وما هو مشكل في التنظيم الوزاري لا خلاف بينهما والحمد لله أولاً وآخراً .

* * *

سادساً : ما قيل في رثائه ، ومن رثاه نثراً ونظماً

ما كادت المصيبة تقرع الأسماع وتنتشر وتذاع حتى أصيب العالم وبالأخص العلماء منهم بمصيبةٍ تقل عنها جلل المصائب ، فما امتلك أحد غير البكاء والثناء والدعاء للمتوفى - رحمه الله - ؛ وقد انبرت الأقلام لتقول ، وتفجرت أنهار الشعر لتعبر عن مدى أليم هذا الحزن والفجيعة الكبرى ، لقد عجَّت الصحف بالمقالات ، وحرر على صفحاتها القصائد الشعرية حتى رأينا من قال الرثاء شعراً وهو غير معروف بالشعر ، ولكن مرارة الأسى تولد في النفس قريحة الشعر والإبداع في إظهار محاسن المصاب به ، كتب وأنشد منهم على مستوى الوزراء والأدباء والعلماء ، ومَن له ملكة في التعبير ، أما الذين كظموا وصبروا فهم كثير ، ورحم الله من كانت مصيبته مصيبة ذوي الألباب ، لا في أبوته وعطفه ، ولا في علمه وفضله ، ولا في قيادته وحنكته ، ولكنَّها جوانب متعددة من حياته فقد فعاليتها العالم الإسلامي .

وفيما يلي ذكر بعض من رثاه نثراً ونظماً ، مما نشر في الصحافة المحلية وبالأخص في مجلة الدعوة التي قد اختصت بعدد خاص لما قيل في رثائه - رحمه الله -.

أولاً- معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف يقول:

تحت عنوان: عالمٌ فَقَدْنَاه:

صنفان من الناس يترك فقدهما فراغاً كبيراً وهزة بعيدة المدى بل ربما يؤدي ذهابهما إلى الاضطراب والحيرة، وهما العلماء المحققون، والزعماء المخلصون، والأمم في كل مراحل حياتها لا تستغني عن أولئك ولا هؤلاء، لأنها بالعلماء تعرف واجباتها نحو ربها ودينها و تمضي في حياتها على بصيرة، والزعماء تنظِّم معيشتها، وتأمن بها السبل، ولا يمكن لأيِّ إنسان أن يقف صامتاً عندما يشهد انحدار أو تهاوي إحدى الدعامات التي يقوم عليها مجتمعه.

ونحن بما فقدنا قبل أيام بوفاة صاحب السماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم، نجد أنفسنا بشبه الدوامة الحائرة من الأسف والأسى، فالفقيد شخصية علمية لامعة، وحياته كانت جهاداً متلاحقاً في سبيل العلم والتعليم، وكانت أبرز صفاته بعد علمه الواسع عقله الكبير، فالفقيد كان يتحلى بعقل راجح يحجزه عن الاندفاع والتسرع، ....

صحيفة الدعوة عدد ٢٣١

في ١٣/ سنة ١٣٨٩هـ.

ثانياً: معالي الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي:

تحت عنوان : سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

ما أثقل الأعباء بعد ثقل الرزية فيه ، ولكن المعاني المتألقة في مجال المعرفة واقتباس الهداية هي الأشعة التي ما زالت ، وستبقى تنبض في حياته الخالدة حياة المؤمنين الصادقين والمجاهدين الثابتين في إعلاء كلمة الدين ، إنها المنارة المضيئة في معالم الطريق للمقتفين أثره ، المشمولين بما شمله الله به من حسن التوفيق ، وإن خسارة الدولة الإسلامية في أيِّ عالم لهي الخسارة التي من شقائها وآلامها ، وفقيدنا العظيم من أولئك الأعلام الذين أدوا للدين رسالته ، وللعلم أمانته ، وللتشريع الإسلامي هدفه وغايته ، فقد عرفت الفقيد الكبير عليه رحمة الله ورضوانه ، لقد عرفت الفقيد الكبير أفضل المعرفة النجم المتألق في سماء رابطة العالم الإسلامي رئيساً لمجلسها التأسيسي ، نعم عرفته الرجل الكريم في سيرته ، وسريرته، والحكيم في رئاسته، الواسع الأفق في تصريف مهام الرئاسة بحنكة العالم وفِقْه المتمرس بجسام الأمور وعظائمها ، إلخ ما قاله.

صحيفة الدعوة ٢٣١

في تاريخ ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ

ثالثاً : وكتب فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري : تحت عنوان (مصيبة كبرى) قال :

أصيب الإسلام بوفاة فريد هذا العصر ووحيده مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، عظم الأسف لذلك وحزنت القلوب ، وبكت العيون ، وإنني في هذه الكلمة لا ألتزم إيفاء تاريخ حياته حقه ، لأنَّ سيرته وفضائله أعظم من أن يبينها قلمي، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى في شهرة الشيخ ما يغني عن الإسهاب والإطناب في ترجمته ، وإنما أقتطف من ذلك ما يلي:

١- نشأ الشيخ محمد بن إبراهيم في بيت أصيل عريق في الشؤون والعلم والتقوى والصلاح وبذل النفس والنفيس في إعلاء كلمة الله عزَّ وجل ورفع شأنها وإدحاض كل ما يثار حولها من شكوك وشبهات، نشأ في هذا البيت المبارك ، فلم يرض لنفسه سوى الاقتفاء بآثار أولئك السلف الكرام ، مجتهد في العلم ومواظب على تلقيه عن أهل ذلك البيت وغيرهم من أئمة العلم إلى أن نبغ وبرع إلى آخر ما قاله الشيخ إسماعيل الأنصاري عفا الله عنه.

المرجع : الدعوة : ٢٣١

التاريخ : ١٣/ ١٠ سنة ١٣٨٩هـ.

رابعاً: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي : بعنوان: الكليات والمعاهد ثمرة من جهاد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وقال:

يفتقد الرجال ويتألم الناس لفقدهم بقدر ما قدموه من خدمات وأعمال لأمتهم ومجتمعهم ، وتخلد أسماؤهم في التاريخ ، وإن ماتوا بعد تضحياتهم في سبل مبادئهم ومثلهم في الحياة إذا كانت عالية، ويقّيم التاريخ الرجل ويحكم له أو عليه بقدر ما يؤثر في بيئته وينتج في بني قومه، ولم يعهد أنَّ الناس تألموا بفقد إنسان جهد في حياته لنفع نفسه فقط مادياً أو معنوياً ، ولم يكن طوال الأزمان يعيشون مع أناس كانت أعمالهم لأنفسهم فقط ، بل كانوا يعيشون مع أناس ماتوا منذ قرون طويلة ولا يزالون يعيشون معهم في أفكارهم وفي تراثهم ، وفي جهادهم ودعواتهم ، ذلك أنهم أنتجوا للأمة وللمجتمع ، وهدفهم النفع العام ، فاستفاد منهم اللاحق كما حيّا بسببهم السابق ، لذلك لم يختف لهم اسم وجالوا عبر القرون.

الناس صنفان موتى في حياتهم   وآخرون ببطن الأرض أحياء

المرجع : صحيفة الدعوة ٢٣١

في ١٣/ ١٠ سنة ١٣٨٩هـ

خامساً: وكتب الشيخ حمد بن فريان : تحت عنوان :

(إلى - رحمة الله -) :

لقد كانت وفاة الفقيد حدثاً مفجعاً آلم القلب ، وحرَّك المشاعر ، ونبَّه الأحاسيس. نعم إن وفاة فقيد المسلمين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم العبد اللطيف قد أبكت العيون ، وأحزنت القلوب ، ولأن المصيبة كبيرة والخطب جلل ، ذلكم أن المصيبة تكبر وتتجسّم حينما تكون من هذا النوع، فأيّ خسارة هذه ، وأيّ مصيبة ، إنها مصيبة العلم وخسارة المجتمع، فقبض العلماء نزع العلم ، لأن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، كلنا يعلم ما كان يتمتع به الفقيد - رحمه الله- علاوة على تبحره في علوم الشريعة ورجاحة في العقل ، وحسن تصرف في الأمور مما جعله ينال المنزلة اللائقة به في نفوس القوم، فقد كان - رحمه الله - عاقلاً بصيراً منذ صغره، عرف ذلك وأدركه كل من عاصره ، فتوسم القوم فيه معاني الخير والفضيلة ، وقدَّره حق قَدْرِه، وفوق كل ذلك كان - رحمه الله - أباً باراً رحيماً لأفراد هذه الأمة ، ومعلماً حكيماً ..... إلى آخر ما قال عفا الله عنه.

المرجع : صحيفة الدعوة - العدد ٢٣١

في ١٣/ ١٠ سنة ١٣٨٩هـ.

سادساً: وكتب والأستاذ محمد لقمان السلفي تحت عنوان:

(لتبكِ الأمة الإسلامية فقيدها) قال :

اليوم الذي وافت فيه المنية فقيد الأمَّة وعالم الإسلام الشامخ الذي رفرف على العالم الإسلامي قرابة نصف قرن ، ما أشد الوقت الذي سمعت فيه ذلك الخبر المحزن ، وما أصعبه تحملاً ، وما أبلغ وأعمق أثره في النفوس التي رأت الفقيد يقود قطار المجتمع الإسلامي نحو الازدهار والرقي في ظل تعاليم الدين الحنيف كمؤسسة لدور علمية إسلامية ، تتمثل في الكليات والمعاهد و في الجامعات الإسلامية التي ضمت ألوفاً من أفلاذ أبناء الإسلام من أقطار شتى إسلامية وغير إسلامية ، عربية وشرقية ، وكرئيس لرابطة العالم الإسلامي التي تجمع كل سنة خلاصة المسلمين في العالم بأسره متمثلة من علمائهم الذين كانوا يجتمعون تحت رئاسة الفقيد العظيم ويتباحثون في أمور دنياهم ودينهم ، الأمر الذي لم يوجد إلاَّ منذ سنوات عديدة ، والعلم الذي طالما رآه العلماء ولم يخرج تعبيره إلى حيز الوجود إلاَّ بجهود الفقيد الغالي الجبارة ...... إلى آخر ما قاله الدكتور محمد لقمان السلفي.

المرجع : صحيفة الدعوة عدد –٢٣١

من تاريخ ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ.

سابعاً : وكتب الأستاذ سعد بن عبد العزيز الرويشد :

تحت عنوان (فقيد الإسلام) قال :

لقد أمضى الفقيد - رحمه الله - خمسين عاماً من عمره المبارك في تعليم العلم النافع في التوحيد والفقه والحديث والتاريخ واللغة العربية والفرائض وغيرها ، قطع ثلاثين سنة من الخمسين عاماً يدرِّس تلامذته ليلاً ونهاراً في مسجده المعروف بمسجد الشيخ بالرياض ، وجانباً من مجالس التدريس كان يقضيها في دار سماحته ، وداره بجوار مسجده الذي بقي إماماً له مدة خمسين عاماً حتى توفاه الله ، ومجالس تدريسه مستمرة في جميع الأوقات والفصول ، فلا يعرف الكلل والملل والانقطاع ، ونفع الله بعلومه وبارك فيها حتى تخرَّج عليه علماء كثير ، من أبرزهم الشيخان الفاضلان : عبد الله بن حميد ، وعبد العزيز بن باز ، وهؤلاء العديدون سدوا فراغاً كبيراً في القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد ، والمناصب الهامة الأخرى ، ومنذ أن بدأت العشرون الباقية من الخمسين عاماً من عمره - رحمه الله - وبُعد أمصاره وَضْعُ المملكة يتطلب التوسع في مجال العلم والتعليم ، اتفق سماحته مع الملك عبد العزيز على فتح أول معهد علمي في مدينة الرياض عام ١٣٧٠هـ إلى آخر مقاله.

المرجع: صحيفة الدعوة

العدد ٢٣١ سنة ١٣٨٩هـ

ثامناً: وكتب الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم آل الشيخ : ابن أخي المرحوم – تحت عنوان : (صفحات في حياة الفقيد) :

كتب وأجاد وأفاد لعلمه بعمه وقربه منه ، وحريٌ أن يكون ما كتبه موثقاً فيما أدلى به من أرقام وتواريخ ، قال فيما كتب :

هو الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً.

ومن ذلك يتضح أنه من سلالة أعلام أفاضل ، فهو شيخ ابن شيخ ينتهي نسبه إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد الدعوة المحمدية ، وناشر السنة النبوية ، و محارب البدع والخرافات في نجد وما حولها ، أمَّا أخواله فهم من بيت كريم إذ أنَّ جده لأمه هو عبد العزيز الهلالي أمير عرقة آن ذاك، وأحد أخواله هو محمد بن عبد العزيز الهلالي من أدباء عصره وشعراء زمانه ، وقد تولّى إمارة عرقة بعد والده .

ولد – رحمه الله –في مدينة الرياض في منزل بقرب منزل الشيخ حمد ابن فارس ، وذلك في السابع عشر من شهر محرّم عام ١٣١١هـ ، وحيث تضمن المقال بعض أرقام تاريخية ذات أهمية نسردها فيما يلي أخذاً من مقاله المذكور عفا الله عنه.

١- في عام ١٣١١هـ ولد الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -.

٢- في عام ١٣٢٩هـ توفي والده - رحمه الله - الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف.

٣- في عام ١٣٠٥هـ ولد أخوه الشيخ عبد الله بن إبراهيم - رحمه الله -.

٤- وفي عام ١٣٨٦هـ توفي أخوه الشيخ عبد الله - رحمه الله -.

٥- وفي عام ١٣١٥هـ ولد الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم شقيق الشيخ محمد - رحمه الله -.

٦- وفي عام ١٣٨٦هـ توفي - رحمه الله -.

٧- وفي عام ١٣٢٤هـ ولد عبد الملك بن إبراهيم.

٨- وفي عام ١٣٢٩هـ توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله -.

٩- وفي عام ١٣٤٥هـ تعيَّن قاضياً في الغطغط (مدة قصيرة).

١٠- وفي عام ١٣٧٣هـ أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية.

١١- وفي عام ١٣٧٦هـ أنشئت رئاسة القضاة تحت رئاسته في نجد وملحقاتها.

١٢- وفي عام ١٣٧٦هـ توفي الشيخ عبد الله بن حسن رئيس قضاة الحجاز وضمت رئاسة القضاء إليه خلفاً للشيخ عبد الله - رحمه الله -.

١٣- وفي عام ١٣٦٩هـ بعد عودته من مصر أنشأ المعهد العلمي.

١٤- وفي عام ١٣٧٠هـ تمَّ افتتاح المعهد العلمي بالرياض.

١٥- وفي عام ١٣٧٣هـ أنشئت كلية الشريعة.

١٦-وفي عام ١٣٥٤هـ افتتحت أربعة معاهد في كل من بريدة والمجمعة والأحساء وفروع للمعهد العلمي بالرياض.

١٧- وفي عام ١٣٧٤هـ أنشئت كلية اللغة العربية.

١٨- وفي عام ١٣٧٦هـ تخرجت أول دفعة من كلية الشريعة.

١٩- وفي عام ١٣٧٠هـ أنشئت المكتبة السعودية وذلك بناءً على اقتراح سماحته للملك عبد العزيز ووافق على ذلك.

٢٠- وفي عام ١٣٨٩هـ بدأ الإعداد لإنشاء مجلس هيئة كبار العلماء، والذي اعتمد في ميزانية عام ١٣٨٩هـ غير أنَّ المنية وافته قبل أن يباشر المجلس الأعمال .

كما ذكر صاحب المقال أبناء الشيخ – رحمه الله – وهم على التوالي.

١- عبد العزيز نائب سماحته في رئاسة الكليات والمعاهد العلمية.

٢- فضيلة الشيخ إبراهيم نائب سماحته في دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية.

٣- أحمد وهو يعمل برئاسة القضاة.

٤- عبد الله أحد طلاب كلية الشريعة وهو أصغرهم سناً.

قال محرر الأسطر : وقد تخرج عبد الله في كلية الشريعة ونال شهادة الدكتوراه وانتظم في سلك التدريس في جامعة الإمام ، وهو وزير العدل الآن .

أما البنات فليس له سوى ابنة واحدة شقيقة الدكتور عبد الله ، والإخوة الثلاثة من أم واحدة من أهالي الرياض ، والله أعلم.

تاسعاً: وكتب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا : تحت عنوان:

(رجل علم وعمل) قال :

رحم الله فقيد الإسلام والمسلمين محمد بن إبراهيم ، فقد اجتمع له ما تفرق في كثير من الناس ، والتقى في شخصه ما لو وزِّع على قبيل من الرجال لجعل كل منهم رجلاً ، ألقيت على كاهله أعباء جسام تنوء بها العصبة من أولي القوة فنهض بها بحزم المؤمن وصبر المجاهد وروية الحكيم ، بذل للمهام التي أنيطت به نفسه فدانت له، منحها وعيه ، فجرت على عينه، وأولاها نصحه ، فسارت رشيدة سديدة ، لا تنحرف ولا تنجرف ولا تنحاز، حكّم في أعماله شرع الله فكان له في ذلك عاصم من الخطأ ، واسترشد في سيرته بنهج الصدر الأول فاستقامت له ربة الأمور ، واستشعر مسؤوليته أمام الله ، فذاد عن شرعه أكرم الذود ، ونافح عن دينه أصدق المنافحة ، أيقن أنّ العلم هو الوسيلة القويمة لتربية الأجيال وإعداد الرجال، تعلَّم بنفسه من صدر شبابه إلى حين وفاته ، عمل على افتتاح المعاهد والكليات ، ورأى شؤون تعليم البنات .

إلى آخر ما قاله في كلمته البليغة ، وهو المؤرخ الأديب ، العالم النجيب –رحمه الله – وعفا الله.

المرجع صحيفة الدعوة ٢٣١

في ١٣/ ١٠ سنة ١٣٨٩هـ.

عاشراً: كتب رئيس تحرير صحيفة الدعوة الأسبوعية الشيخ عبد الله ابن إدريس قال :

كنت وعدت القراء الأكارم في العدد الماضي وهو العدد الخاص بالعيد والذي صادف وفاة فقيد الإسلام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بأننا سوف نصدر ملحقاً خاصاً يحتوي على ما يبعثه لنا العلماء والشعراء والكتاب في الفقيد – رحمه الله – ، ولكن عطلة العيد كانت لنا بالمرصاد ، وهنا قررت أن يكون أول عدد يصدر من الدعوة بعد عطلة العيد كله خاص بفقيد الأمَّة ، إلاَّ ما تدعو الضرورة إلى إدراجه ضمن هذا العدد، وكذلك فعلنا ، لقد كانت مصيبة المملكة العربية السعودية في عالمها الجليل وفقيهها الأكبر ورئيس قضاتها ودعامة علمائها كبيرة ومؤثرة ، لذا فقد هزّت المصيبة مشاعر عدد كبير من الكتَّاب والشعراء فبعثوا لنا بمقالاتهم وقصائدهم مشاركة منهم في التعبير عن أليم حزنهم بجزء من حقه عليهم يرحمه الله ...

إلى آخر ما قاله رئيس التحرير ، وقد اقتصرنا على بعض من كتب نثراً.

وفيما يلي بيانٌ بذكر من رثاه شعراً بذكر الراثي وعدد أبيات شعره من غير ذكر القصائد لطولها ولترادف معانيها وذلك مما طبع ونشر في جريدة الدعوة ، وقد يكون هناك من رثاه من غير أن ينشر.

ذكر من رثاه شعراً على الترتيب الهجائي

الناظم	عدد الأبيات
١- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٣٠ ثلاثون
٢- إبراهيم السبيعي	٢٩ تسعة وعشرون
٣- إسماعيل بن سعد بن عتيق	٢٨ ثمان وعشرون
٤- أحمد بن عبد الله بن حميد	٢٠ عشرون
٥- أبو سامي	١٦ ستة عشر
٦- حسن بن عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ	١٦ ستة عشر
٧- راشد بن صالح بن خنين	١٢ اثنا عشر
٨- سعد بن جريول (شعبي)	١٣ ثلاث عشر
٩- صالح بن سليمان بن سحمان	١٧ سبعة عشر
١٠- ضياء الدين الصابوني	٢٤ أربعة وعشرون
١١- طه عبد الواسع البركاني	١٦ ستة عشر
١٢- عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٢٣ ثلاثة وعشرون
١٣- عبد الله بن إدريس	٢١ واحد وعشرون
١٤- عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان	٢٠ ثلاثة وعشرون.
١٥- عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سليمان بن سحمان	١٨ ثمانية عشر .
١٦- محمد بن عبد العزيز هليل	٥٥ خمسة وخمسون

١٧- محمد بن مسيطير	٢٨ ثمانية وعشرون
١٨- محمد كامل الفقي	٣٢ اثنان وثلاثون
١٩- محمد بن سعد بن حسين	٢٢ اثنان وعشرون
٢٠- محمد بن عبد المنعم خفاجي	٤٢ اثنان وأربعون

بلغ مجموع من رثاه شعراً عشرين [١] شاعراً في أربعمائة واثنين وثمانين بيتاً، وقد أفردتها جميعاً في كتاب واحد، وبهذا القدر في بيان من رثاه يكفي أن تعلم أنه لم يسبق أن قام أحد في زماننا بمثل مقام هذا الرجل العظيم الذي بكاه من عَرَفَه وحَزِنَ عَلَيْهِ مِن فِقْدِهِ فإنَّا لله وإنَّا إِلَيْهِ رَاجعُون ولله ما أخذ وله ما أعطى، وكُلُّ شيءٍ عنده بأجل مسمًّى وصلى الله على محمد.

---

(١) وقد علمت بأن غير هؤلاء قد رثاه ومنهم:
١- الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم.
٢- الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن عتيق.
٣- الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.
٤- والشيخ سعد بن محمد بن يحيى.

سابعاً: آثاره العلمية ومؤلفاته

لم تكن لحركة التأليف رواج أو توجه من أصحاب الأقلام والمؤلفين غير أنَّ الردود على المناوئين والمعارضين للدعوة السلفية تبدو واضحة في حركة التأليف منذ أن اتسعت رقعة الدولة السعودية، وظهر معارضون بدافع عقدي أو سياسي ، لذا فقد قام الشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم ابنه عبد اللطيف بردّ كثير من الشبه القائمة عند بعض المعارضين في حياتهما، ثم جاء من بعدهم صاحب القلم السيال، والسحر الحلال ، العالم الأديب اللوذعي الشيخ سليمان بن سحمان ، فكافح وناضل بقلمه نثراً ونظماً ، فقد كتب ما يزيد عن ثلاثين مؤلفا كلها ردود على المناوئين المعارضين ، فرحمه الله وغفر له، فكان الشيخ سليمان أمة وحده فيما سلكه من مسلك الردع والدفاع عن هذه الدعوة المباركة السُّنّية والسَّنية .

أما شيخنا – رحمه الله -.فلم يكن صاحب قلمٍ أو ردودٍ على أحدٍ ، فقد اتخذ منهج التدريس ، منهجاً علمياً في تكوين الجماعة وإقامة الأمة في تبصيرها علمياً ، فقد يكون في بعض الردود شهرة المردود عليه .

أذكر بعض أمثلة على هذا:

١ – قام رئيس محاكم قطر الشيخ عبد الله المحمود بتأليف كتاب في مناسك الحج ، توسع فيها بما خالف به جمهور العلماء ، والمفتى به ،

والمعمول به حول المبيت في مزدلفة والرمي قبل الزوال في أيام التشريق، وطبع كتابه ، فأراد الشيخ محمد بن إبراهيم أن يعيد الصورة باستدعاء ابن محمود عند الملك سعود ومناقشته عما تجاوز به من الفتوى ، وذلك بحضور المشايخ وفق ما وقع للشيخ ابن سعدي مع الملك عبد العزيز ، وبعد مناقشة ابن محمود أبدى استعداده على نقض كلامه والرجوع عنه فور عودته إلى قطر غير أنه لم يفي بما وعد ، فبعد عودته لم يفعل شيئاً ، بل أخبر أنه لا يتراجع عما كتبه في مناسك الحج ، فقام الشيخ محمد بن إبراهيم بالرد عليه ، وشدد في رده وردعه ، وأخبر بما حصل منه من الوعد بالتوبة والإقلاع ، وهو مطبوع متداول رحمهم الله وعفا عنهم جميعاً .

٢- حدث أن تم بعد توسيع الحرم المكي البحث في إزاحة مقام إبراهيم توسعة للمطاف ، وكان رأي الشيخ محمد أنه لا مانع من إزاحة المقام كما فعل عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – حيث كان المقام ملاصقاً للكعبة. فأزاحه عمر توسعة للمطاف ، غير أنه حصل ضجة يتبناها أحد طلاب الشيخ وهو الشيخ سليمان بن حمدان ، المدرس في المسجد الحرام ، وكتب نسخة يرد بها على الفتوى. فصدر الأمر بإبقاء المقام مكانه مع هدم البناية فوقه، وإبقاءه في بلورة من الزجاج ، لا يأخذ حيزاً كبيراً من الأرض .

ومن هذه النماذج الواقعة في حياة الشيخ محمد ، ومواقفه من مخالفيه ندرك أن الشيخ لا يحرص على الرد ما دام أن السلطة في مقدورها الإصلاح وترك الجدل والخوض فيما لا يفيد العامة ، فكان هذا هو أسلوبه في الرد، وهو منع التظاهر بمخالفة ما عليه جمهور العلماء. وبخاصة ما عليه الحنابلة المفتى بمذهبهم مما لا يخالف الكتاب والسنة ، وقد ردَّ سماحته على دعوى الشيخ سليمان بن حمدان بكتيب مطبوع ، وإن كان قد أمر بعدم إزاحة المقام خشية الافتتان وكثرة الكلام وخروجاً من الخلاف ، وجمعاً للكلمة ، مع جواز ذلك شرعاً، وعدم حجية من منعه – رحم الله – الجميع وغفر لهم إنه سميع مجيب.

٣- كان الشيخ عبد العزيز بن باز يفتي لمن طلّق ثلاثاً بلفظ واحد طلقة واحدة كما هو في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وصدر من خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – وأفتى به ابن تيمية، وهذا فيه مخالفة لما يراه الشيخ محمد بن إبراهيم غير أنَّ الشيخ لم يلزم الشيخ ابن باز بالرأي الآخر، حيث إن الأمر فيه سعة، وإن كان الشيخ محمد لا يرى تعدد الفتوى في مسألة واحدة بين العلماء ، كما أن الشيخ ابن باز طبَّق عملياً صلاة التراويح أحد عشر ركعة في جامع الرياض ، وهذا كان مخالفاً لما عليه مساجد الرياض عموماً ، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم لا يرى غير ما عليه الجمهور والمعمول به وهو عشرون ركعة والوتر.

حدثني الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن عتيق وكان قاضياً في الشمال قال: صليت التراويح أحد عشر ركعة ثم جاءتني برقية من الشيخ محمد يقول: صل كما يصل الناس صلاة التراويح قال: فعدت وصليت عشرين ركعة كما أمر سماحته، من هذا نعرف قلة المخالفين للشيخ فيما يفتي به أو أمر به.

وندرك أن الحاجة للتأليف في الرد على المخالف ليس بضروري ولا حاجة له ما دامت السلطة هي الموجهة في حل النزاع والخصام (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[1] قول لعثمان - رضي الله عنه -.

٤- وقد ألّف سماحة الشيخ رسالة في وجوب تحكيم الشرع، وذلك رداً على ما صدر من أنظمة حول التعامل التجاري في عام ١٣٦٩هـ وقد كان - رحمه الله - يؤكد على جميع القضاة عدم صرف النظر في أيّ قضية كانت، وعليهم أن يحكموا بما يرونه شرعاً، وليس لهم اعتراض على جهة التنفيذ، وذلك إثر قضية رفعت للمحكمة الشرعية في خصومة على جهاز التلفاز، رأى القاضي صرف النظر عن القضية.

هذا كل ما أعرف من آثاره العلمية ومؤلفاته، وبعد وفاته - رحمه الله- وافق الملك فيصل بطلب من أبناء سماحته على جمع كل ما صدر من

---

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ١١٨) عن مالك عن عثمان بلاغا. ورواه الخطيب (٤/ ١٠٧) عن عمر مسندا، ولا يصح.

سماحته من فتاوى أو أحكام ، وقام الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم بجمع شتات مكاتبات أو برقيات أو ما هو محتوى المعاملات فجد واجتهد وحرص ودأب، فجمع ثلاثة عشر مجلداً كلها تحت عنوان : « فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم » وكانت مصادر تلقي هذه الفتاوى:

١ - ما كتب هو من تقارير أثناء الطلب من عام ١٣٥٧هـ إلى عام ١٣٨١هـ.

٢- أرشيف رئاسة القضاة قد استخلص منها فتاوى جمَّة.

٣- أرشيف دار الإفتاء.

٤ -مكتب سماحته الخاص.

وقد تم طبع هذه المجلدات على نفقة الحكومة ، وتوزيعها على خواص طلبة العلم توزيعاً محدوداً ، غير أنه حصل استدراك على جامع الفتاوى لعل من أبرزها أن ما طبعه من تقارير لم يكن في نية الشيخ محمد أنه تأليف وعرض للطباعة ، وإنما هو شرح وبيان ، وهذا قد يختلف عمَّا يراد نشره وطبعه .

أما الاستدراك الآخر فهو وجود أسماء أشخاص تذكر جنايتهم ، وهذا قد لا يكون من المصلحة تدوين اسم الجاني ، وإن كان الجامع للفتاوى يدرك هذا إلا أنه أبقى بعض الأسماء وألغى الكثير منها ، لذا فقد صدر

الأمر بعدم توزيعها توزيعاً شمولياً ، غير أن الناس تسابقوا إلى تصويرها وتوزيعها تجارياً ، بلغت قيمة النسخة الواحدة ألف ريال وقد تزيد وتنقص.

والمتصفح لهذه الفتاوى يدرك مدى منزلة الشيخ القيادية والعلمية فيما يمليه ويأمر به مع اختصار في الأسلوب وعدم إيراد الأدلة فيما يفتي به أو يأمر به ، وهذا ليس بقاعدة مضطردة ، ولكن في الغالب، مما يدل على أن الأمر يجري بالتسليم وعدم المناقشة مما يفتي به أو يأمر به.

هذا ولا يفوتنا التنويه بوجود أعضاء مشاركين في رئاسة القضاة وفي دار الإفتاء من خواص طلبة العلم ، ومن لهم دورٌ في التحرير والتحقيق والإيضاح سواء فيما يتعلق بالخصومات وفض المنازعات أو فيما يتعلق من جانب واحد وهو المستفتي الذي ليس له طرف منازع ، وكل ما يكتبه الأعضاء من الجهتين فإنها تصدر بموافقة سماحة الشيخ والختم عليها بختمه ، وقد يتم وهو في الغالب مدارسة القضايا والفتاوى برئاسة سماحته فيأمر بتحرير ما اتفقوا عليه من غير خلاف.

وهاتان اللجنتان أعني أعضاء الإفتاء وأعضاء رئاسة القضاة لهم من الخبرة بما جد وما يستدعي الاستيعاب في الدراسة وإعطاء التصور الشامل الكامل للقضايا والفتاوى مما يجعل ما يصدر بختم سماحته موثقاً من جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والفردية، وهذا عامل من عوامل مطابقة الفتوى والأحكام لشرع الله تعالى حيث إنَّ هناك جهوداً

اشتركت في تحرير ما يصدر على مستوى المعرفة والإدراك، وبرئاسة كبير العلماء ومفتيهم رحمهم الله.

أحببت التنبيه على هذه الملاحظة وهم إن شاء الله في الأجر سواء.

رحم الله ميتهم ووفق أحياءهم.

* * *



مما في الذاكرة
عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم



تمهيد :

الحمد لله وحده ، وبعد:

فهذه أرقام معدودة سجلتها مما في الذاكرة عن سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، فهي كلمات نابعة عن محب وعن مشاهدة عيان ، وقد سمعتها الأذنان ، حيث انطبع في ذاكرتي تلك الأحوال الزكية والسيرة المرضية لشيخنا الكبير وذلك من عام: (١٣٧١هـ) أسال الله أن يغفر له وأن يلحقنا به في مقر رحمته ورضوانه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مما في الذاكرة عن
سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم

١- رأيته يحمل المصحف الشريف بكمه ثم وضعه على رأسه وتيمم على الجدار ضربة واحدة ثم تناول المصحف مباشرة.

* * *

٢- جاء أعرابي طاعن في السن فقال : أريد أن تعزم علي «يعني الرقية» فسكت الشيخ ولم يجبه، ثم كرر الطلب فقال الشيخ : لا أعزم. ثم أمر من يدله على رجل في مسجد الشيخ يدعى ابن هويمل يتعاطى الرقية.

* * *

٣- حدثني محمد بن بخيِّت وكان وكيلاً للإخوان الطلبة عند الشيخ: كتب الشيخ عمر بن سليم للشيخ محمد مع أحد الطلبة يدعى علي الضالع. قال ابن بخيِّت: فأمرني الشيخ لإسكانه وقال: سيأتيك أحد الإخوان من القصيم تراه يضلع. فلما جاء علي قلت له ما قاله الشيخ، فقال: أنا علي الضالع ولكنني لا أضلع. قال ابن بخيِّت : إما أن تكون ضالعاً اسماً وفعلاً وإلا لا أسكنك، فإن الشيخ يقول: إنه يضلع. « قالها من باب الدعابة » .

* * *

٤- قال الشيخ رحمه الله : لقد جاءني رجل يريد أن يسلِّم علي فوضع يده تحت لحيي ورفع رأسي بقوة حتى يقبل رأسي فقلت في نفسي: لعل هذا قد هم بسوء عافانا الله من شره. « قالها تعوذا منه » .

* * *

٥- تحدث ذات يوم عن تحول الزمان وقال : سرنا ذات يوم في السيارة، فإذا بعير يسير، فصاح ولدي عبد العزيز: نه نه البعير « يعني انظر انظر البعير » . قال ذلك تعجباً من تغير الأحوال، وقد كان البعير هو مركب الناس ثم أصبح غريباً يتعجب الناس من النظر إليه.

* * *

٦- في أحد الأيام هرول مسرعاً في البيت فاصطدم بحائط له حد من حجر فكانت شجة في جبينه استدعى على إثره المضمد حيدر ، كان في المعهد العلمي في البطحاء فضمد رأسه بعد أن غرز إبره البنج في جبينه وهو يقول: ما رأيت أصبر من الشيخ لم يتغير ولم يتأثر.

* * *

٧- كان كثير ما يتمثل بقول الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد .

* * *

٨- في عام (١٣٧١هـ) أُدخل التيار الكهربائي في بيت الأمير محمد ابن عبد العزيز في الوسيطاء. يبعد عن بيت الشيخ قرابة (٧٠ متراً) ثم أمر الأمير سعود ولي العهد بإدخال التيار في منزل الشيخ فوراً، ولم يصبح الصباح إلا وقد نور بيت الشيخ. رأيتهم يحفرون الكيبلات الأرضية بعد العشاء.

* * *

٩- جاء الشيخ محمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق بعد الظهر لزيارة الشيخ. وكان الشيخ محمد لا يأمر بإصلاح الشاي إلا إذا قدم ضيف عزيز جرياً على العادة في ذلك الوقت، فأمر الشيخ كعادته لإصلاح الشاي بقوله: شاي بصوت مرتفع يسمعه القهوجي، قال الشيخ: محمد بن عتيق أنا لا أشرب الشاي وأنت لا تشربه فهل من بديل ؟ فسكت الشيخ هنيهة ثم نهض داخلاً البيت فأمر بتحضير اللبن والتمر فقال: هذا هو البديل.

وكان الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عتيق بينه وبين الشيخ ملاطفة وحديث خاص كان آخر أعماله قاضياً في ضرما.

* * *

١٠- كنا صغاراً في عام (١٣٧١هـ) نتسابق إلى مجلس الشيخ عقب صلاة الجمعة حتى يتسنى لنا شرب الشاي إذ لا يصنع الشاي في المجالس العامة إلا يوم الجمعة فيتكاثر الناس لتذوق الشاي. فأحياناً يطوف الشاي مرة ، وأحياناً مرتين ، وكان يصب في الكأس الواحد لأكثر

من واحد لكثرة الناس وقلة فناجيل الشاي ، ومثل ذلك القهوة فإن الفنجال يدور على عدد من الجالسين.

* * *

١١- كان رحمه الله يكلفني بشراء أدم اللحم ويعطيني خمسة ريالات أشتري بها لحماً ، وربما أعطى القهوجي منصور سبعة أريل ثم يسأل الشيخ الجارية مستورة: أيهما أفضل اللحم الذي يأتي به إسماعيل أو الذي يأتي به منصور ؟ وكانت الجارية مستورة ترجح شرائي على ما يشتري منصور.

* * *

١٢- في كل أسبوع يخرج الشيخ على جبل أبي مخروق شرق الرياض وأصحبه أنا وابنه عبد الله. وكان سنه آنذاك في حدود خمس سنوات (في عام ١٣٧٢هـ) ثم يأمر الشيخ السائق ابن سويدان أن ينصرف ولا يأتي إلا قرب غروب الشمس ، ثم يأمرني أنا وعبد الله أن ننطلق أمامه ثم يلحقنا جرياً ، أما عبد الله فلا يقدر على الجري فيتجاوزه الشيخ ويلحق بي ولكن كنت أُسرع في الجري حتى يبتعد عن عبد الله ثم يعود. وقد كانت الأرض جرداء ليس فيها حجر ولا شجر صالحة للجري فيتخذه الشيخ رياضة أسبوعية بعد كل عصر في الغالب.

* * *

١٣- جاء خزام المهري وهو من طلبة العلم. وقال للشيخ: وجدت مطبوعات الملك عبد العزيز في حراج ابن قاسم، هل أشتري؟ فقال الشيخ: اشترها وحوله علي بالثمن مع أن الكتب لم يكتب عليها وقف ولكنها توزع عادة بغير ثمن.

* * *

١٤- سألني ذات يوم وأنا أُدرّس القرآن عند المرور بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ [المعارج: ٤٣] ما هي الأجداث؟ فلم أجبه فقال: هي القبور.

* * *

١٥- دعاني ذات يوم وقد سقط من يده جنيه في المخزن الخاص به فقال: انظر الجنيه فأعطيني إياه، فأخرجته من التراب وناولته إياه.

* * *

١٦- كثيراً ما يرتاح الشيخ لمجلس إبراهيم الشائقي سكرتير الملك عبد العزيز المكلف بصرف مستحقات القضاة وطلبة العلم وتوزيع الكتب. فكان الشائقي همزة الوصل بين الشيخ والملك عبد العزيز.

* * *

١٧- في عام (١٣٧٢هـ) قدم وفد من علماء المغرب في حدود العشرة برئاسة علال الفاسي، ودعاهم الشيخ على وليمة غداء، وفتح لهم المجلس الأعلى الذي لا يفتح إلا للملك أو الخواص من الأعيان. رأيت الشيخ يشرب المرق بالفنجال مع وجود الملاعق واستعمالها نادر آنذاك.

* * *

١٨- صعدت ذات يوم لحاجة أُرسلت إليها قرب غرفة منام الشيخ فوجدت الشيخ يأكل وجبة العشاء فقال: من ذا ؟ فأخبرته فقال: أعزمك ؟ وكان الشيخ يقدم له عشاؤه في إناء صغير قدر الكف يخلط له الأرز مع القرصان وذلك تعمداً لقلة الأكل.

* * *

١٩- جلس الشيخ أبو الأعلى المودودي من باكستان والشيخ يصب له القهوة فنجالاً بعد آخر فقال المودودي له: كم فنجالاً تشرب كل يوم ؟ فقال الشيخ: لو قلت: كم دلّة لأخبرتك .

* * *

٢٠- جلس ذات يوم يتحدث إلى أهله وقال: سيأتي وقت يدخل الماء في البيت في القصب وتدفن الركية : « يعني الحسو الحسي » البئر الصغير في البيت ، ولا نحتاج إلى السقا أبو علي.

وأبو علي رجل أعشى من الحوطة ، كل يوم يأتي بقربتين ، قربة في الصباح، وقربة في المساء، وهاتان القربتان للشرب والقهوة، أما الوضوء فمن الركية داخل البيت.

* * *

٢١- تحدث ذات يوم عن زيارته لمصر العلاجية، وكان ذلك عام (١٣٦٨هـ) وقال: يوجد عند الوسادة زر، أضغط عليه فيكون له صوت، فيأتي الممرض أو الطبيب حالاً ، قال ذلك تعجباً من هذا الجرس.

* * *

٢٢- افتتح المعهد العلمي في حوطة بني تميم فلم يتقدم إلا الكبار، ولم يكتمل النصاب، فأمر الشيخ بنقله إلى الأفلاج، ويؤجل معهد الحوطة إلى العام القادم، فثار أهل الحوطة، وجاءوا إلى الشيخ ومعهم الشيخ أبو حبيب عبد العزيز الشثري، فأمرهم أن يأتي هو واثنان معه ، فلما جاءوه أخبرهم الشيخ بأنه لم يتقدم إلا كبار السن وعدد قليل ، فقالوا: للشيخ المعهد يفتح لطلاب العلم لا للجهال - يعنون صغار السن - فأمر الشيخ بإعادة فتح المعهد في الحوطة ، والتجاوز عن كبار السن، وعن النصاب المحدد، ثم دعاهم الشيخ على مائدة عشاء حضره جمع كبير من بني تميم.

* * *

٢٣- خرج الشيخ ذات يوم إلى المزرعة ومعه أبناؤه وعلي بن خميس وآخرون يختطون أرضاً زراعية أو تحديد المسابيل ثم جاء ابن ناصر ومعه زمزمية قهوة، وبعد السلام على الشيخ صب له القهوة ، فقال الشيخ: هل أوقدتم ناراً وأصلحتم القهوة ؟ قال ابن ناصر : أصلحنا القهوة في البيت ووضعناها في الزمزمية، فوضع الشيخ يده عليها، ويتعجب من حفظها للحرارة . ثم قال الشيخ لعلي بن خميس : ماذا تسمي أرضك يا علي ؟ قال: سميتها سحيلة . وذلك أنه وجد فيها إناء صغيراً من غضار . فقال الشيخ : لعلك تشرب من مائها في السحيلة .

* * *

٢٤- تحدث ذات يوم عن الطائرة وقال : هذا الجبل العظيم الذي صنع من الحديد يطير بين السماء والأرض ، ثم قال : جاء خبراء من الأمريكان، وسمعوا أصوات السواني، وكانوا يضعون بها تنك يحدث صوتاً بعيداً، فتعجبوا من هذا الصوت، فهم يتعجبون من صنعتنا، ونحن نتعجب من صنعتهم.

* * *

٢٥- جرت العادة أن يصرف في كل عام في الشتاء شرهة للإخوان مقدارها مائتا ريال للكبار، وسبعون ريالاً للصغار، فحضرت لأستلم

شرهتي فلم يظهر اسمي بين المستلمين، فلما رآني علي ابن خميس وقد تأثرت فقال لي : تأتي إلى البيت بعد العصر، فسلم لي مائتي ريال وقال : يقول الشيخ : صغار آل عتيق عندي كبار.

* * *

٢٦- رأيت الشيخ غير مرة يصلي النافلة ما بين الدرعية والرياض في السيارة، وغالباً ما يكون في العودة بعد المغرب حيث اتجهت به السيارة من غير أن يستدير بوجهه إلى القبلة عند تكبيرة الإحرام.

* * *

٢٧- حدثني الشيخ صالح بن حسين العراقي الأستاذ في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية قال : ذهبت بمعية الدكتور سعيد رمضان مدير المركز الإسلامي في جنيف لزيارة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وقد أخبرت الدكتور سعيد بأن عليه أن لا يقاطع الشيخ حينما يتكلم، وعليه أن يجيب إذا سأله باختصار، وبعد أن استمع إلى الشيخ تحدث سماحة المفتي، فدخل عليه الدكتور بالكلام، ثم سكت الشيخ ولم يتجاوب معه، قال الشيخ صالح: فأومأت للدكتور أن يسكت.

* * *

٢٨- حدثني بعض الأخوان قال : سأل المفتي بعض الأساتذة المصريين كيف قدمتم جواً أو براً؟ قالوا: جئنا على الله ثم على الطائرة. وذلك أن الأساتذة المصريين كانوا يلقنون أن يأتون بحرف العطف ثم مخافة الشرك بالله.

* * *

٢٩- في ذات ليلة كان الشيخ جالساً وعنده علي بن عبدالله بن خميس فوق سطح المجلس بعد العشاء فقال لي علي بن خميس: انزل يا إسماعيل فأت بالبوك من أسفل ، فقلت : وما البوك ؟ لأني لم أكن أعرفه فقال : الشيخ عربه له فقال : علي البوك هو الدفتر ستجده على الطاولة.

* * *

٣٠- اشتكى قضاة المحكمة على سماحة الشيخ ضغط الأعمال وكثرتها، فقال الشيخ: أنا أعلم بذلك، ولن أنصف القضاة في محكمة الرياض حتى يكون عددهم خمسين قاضياً. وكانوا إذ ذاك قرابة ثلاثة عشر قاضياً بما فيهم قضاة المستعجلة.

* * *

٣١- جاء سماحة الشيخ من رشح للقضاء وقالوا: لسنا أهلاً لذلك. فقال : الشيخ نعرف ذلك يقيناً بأنكم لستم أهلاً، ولكن هل تريدون مني أن أخرج العلماء من المقابر ، أم أتعاقد مع قضاة من خارج المملكة.

* * *

٣٢- وفي عام ١٣٨٠هـ كنت في مجلس الشيخ علي بن عبد الله بن ثاني حاكم قطر وبجواره العلامة الشيخ محمد بن مانع في لبنان بحمدون، فجاءت برقية تفيد بأن السعودية رأت هلال رمضان، وستصوم غداً، ولكن الشيخ ابن محمود لم يصدر الأمر بالصيام، فأمر الشيخ علي فوراً أن يبرق للشيخ ابن محمود رئيس المحاكم الشرعية بأن الأمر قد صدر من مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم، ونحن تبع له بالصيام لأن الأمر قد صدر.

* * *

٣٣- في آخر أيامه رحمه الله زرت المستشفى المركزي ومعي العم عبد العزيز بن عبد اللطيف العتيق لقصد زيارة الشيخ في مرضه فأتيته وهو جالس متربع على هيئته العادية، ولم يكن عنده أحد، وبعد السلام والتعريف كان آخر ما قال : سبع الله خطاكم. وهو آخر لقاء للشيخ رحمه الله.

* * *

٣٤- حدثني بعضهم قال : جاء شلهوب إلى الشيخ بأمر من الملك عبد العزيز لغرض استفتاء في توسعة شارع الوزير لهد جزء يسير من المقبرة ، فبعد أن تكلم شلهوب بأسباب يذكرها لكي يبرر توسعه الشارع لم يجبه الشيخ بكلام، وعندما أراد الانصراف استأذن وقال: ماذا أقول للملك؟ فقال: قل له : المقبرة أقدم . وبقيت المقبرة حتى توفي رحمه الله ثم جرى توسيع الشارع بعد ذلك.

* * *

٣٥- كان رحمه الله يجزئ الأسبوع على جزأين منه ما هو بالإفتاء ومنه ما هو برئاسة القضاء ، وذات يوم جاء للإفتاء مبكراً على غير العادة فلم يجد أحداً من أعضاء الإفتاء في الدوام، فخرج من توه، وقابله أحد المشايخ فبادره بقوله: صبحك الله بالخير، فلم يجبه الشيخ، وأظهر عدم الرضا عن تأخير أعضاء الإفتاء للدوام مبكراً.

* * *

٣٦- حدثني بعضهم قال: كانوا في مجلس الإفتاء يناقشون موضوعاً فتشعبت الأقوال فقال الشيخ : هل يكون التصويت ؟ فقال عبدالملك بن عمر - وكان أطولهم - قال: لا ولكن يكون بالطول. وذلك أن الشيخ قال: بالتصويت مداعبة، وليس من عادته أن يقول هذا القول عند اختلاف المفتين في المسألة ، فكان جواب الشيخ عبد الملك بن عمر فيه مرح ومداعبة.

* * *

٣٧- تقدم الشيخ عبد الله المنيع لمعهد القضاء العالي فلم يقبل لأنه من خريجي كلية اللغة، فكتب معه الشيخ بأن لديه من المعلومات ما يعادل معلومات متخرجي كلية العلوم الشرعية، فقبل في المعهد، ونال الماجستير منه.

* * *

٣٨- كان فيما كتب الشيخ عبد الله المنيع عن الأضاحي ونقل رأياً للشافعية بجوار الذبح قبل يوم النحر، فجاء الشيخ إبراهيم ابن عتيق أحد الدعاة المرشدين وقال للشيخ: إن الشيخ ابن منيع أفتى بكذا وكذا وهو أحد أعضاء الإفتاء لديكم، فمنعه الشيخ، ونهاه عن التكلم في مثل هذه المواضيع، كما أن الشيخ ابن منيع لم يُفتِ ولكنه نقل هذا الأمر من غير ترجيح أو فتوى.

* * *

٣٩- جرت عادة الشيخ في رمضان أن يفطر مع المجموعة في البيت ويتسحر، وكان ممن يتسحر مع الشيخ الأبناء الثلاثة وأنا والصبي القهوجي ، وكانت في تلك الليلة قشور الطماطم كثيرة في السحور، فكان أحمد يجمعها ثم يرميها في شق الصبي، فيأخذها الصبي ويردها لأحمد، فضحكت من هذا الصنيع، فقام الشيخ مغضباً ولم يتسحر، وعند انصرافه سبح الله وقال: هذه ليالي مباركة ووقت سحر إلى آخر ما قال ثم اعتذر الشيخ إبراهيم لي وأخبر بالذي حصل من أحمد والصبي، وفي الصباح سلمت على الشيخ فرد علي السلام، مما أفهمني أنه قد سمح لي ولاسيما وأنني أصغرهم سناً.

* * *

٤٠- في عام ١٣٧١هـ ختم عبد المحسن بن إبراهيم ابن شيخ محمد القرآن الكريم في مسجد الشيخ، وكان من عادة أهل الرياض يعملون احتفالاً بركوب الخيل وحمل السيوف ولبس الخناجر والمشي وراء الخاتِم وهم يقولون: صوم عوه لوم عوه [١] وقد أعطتني الوالدة منيرة أم عبد العزيز سيفاً وقالت: خلك مع العيال، فحملت السيف وأخبرت الشيخ بذلك، وقال لي الشيخ بعد أن انتهى الحفل: حملت السيف يا إسماعيل؟ فقلت: نعم.

* * *

٤١- كان أحد الأخوة من العتيق قد تخرج عام ١٣٧٩هـ ولكنه لا يتكلم خجلاً وحياءً فلم يتيسر له عمل، فأتيته وأخذته للشيخ بعد العصر، فسأله الشيخ: هل تحفظ القرآن؟ قال بصوت خافت: نعم، ثم سأله عن حفظه للزاد وكتاب التوحيد فلم يجبه، فقال الشيخ: لا تبرى بك الذمة. يعني في الوظيفة في التدريس أو القضاء. ولكن تيسر أمره بعد سنتين من تخرجه لدى وزارة المعارف.

* * *

(١) لعلها ما أخوذه من: السمع والطاعة.

٤٢ - تحدث الشيخ ذات يوم عن مدرسة ابن مفيريج قال : ذات يوم لم أذهب إلى المدرسة وكنت ألعب على أكياس من البر وأنا صغير لعله قال: في السابعة من عمره قال : فذهب والدي وأخبر المدرس بأني ألعب، ثم جاء المدرس مع الوالد وفتح له الباب وأنا على تلك الحال، قال: فقبضني ابن مفيريج بثوبي مع ظهري وحملني على رأسه إلى المدرسة ، فلما وصلنا إلى المدرسة رمى بي من بين الطلاب، وناولني ما شاء الله من الضرب والتأديب فيما لا أنساه أبداً.

* * *

٤٣ - كان رحمه الله يتحدث كثيراً عن عرقة وسككها وشوارعها وبيوتها بيتاً بيتا ويصفها بدقة حيث كان أخواله ، وعند ما يتكلم عن عرقة يتكلم بإسهاب وطول نفس، كأنه يعجب من تحول الأحوال بعد النهضة العمرانية وتواصل المدن.

* * *

٤٤ - كان رحمه الله يكسر عود الطيب بأسنانه ثم يأمرني أن أنظر لما كسره من العود هل به بياض، فإن كان فيها بياض وضعها في مخباته اليمنى، وإن لم تكن كذلك فيضعها في جيبه الذي على صدره، وقد يأمرني أحياناً بإزالة البياض في وسط العود.

* * *

٤٥ - كان للشيخ رحمه الله أربعة مخازن مقفلة أحدها خاص به لا يدخلها أحد ، والثاني يعطي مفتاحه أبناءه أو أحدهم ، والثالث مفتاحه مع علي بن خميس ، والرابع المكتبة يفتحها أحمد بن قاسم ، أما الذي يخصه ففي البيت الكبير ، وأما المكتبة والمخزن الذي يعطي مفتاحه أبناءه فهو قرب المجلس والمكتب ، وأما الذي مفتاحه بيد علي بن خميس ففي البيت الثاني في بيت أم عبد الله.

* * *

٤٦ - كان الشيخ عبد العزيز بن محمد يصلي صلاة التراويح في مسجد الشيخ، وذات ليلة غلط في القراءة ، فرد عليه الشيخ ، فقال الشيخ عبد العزيز: أحسن الله إليك لما جرى من العادة على اللسان أن يقال هذا الدعاء عندما يتكلم الشيخ، فسهى الإمام وقال : أحسن الله إليك جرياً للعادة.

* * *

٤٧ - ذكر لي الأخ عبد الرحمن أبا حسين وكان طالب علم يُذكِّر في المساجد قال : أتيت ذات يوم إلى مسجد الشيخ لأتكلم بعد صلاة الفجر، فقمت لأتكلم، فنهرني الشيخ محمد بن إبراهيم، وأسكتني عن الكلام ، وفي صلاة الظهر في ذلك اليوم عدت إلى مسجد الشيخ، وحينما بدأت بالكلمة خرج الشيخ مغضباً، فقلت كلمتي وانصرفت ، وبعد مدة دعاني الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم وقال: إن الشيخ لم يمنعك عن التذكير لنقص

في علمك أو قدح في عدالتك، ولكن كما تعلم أن هذا المسجد تكثر فيه الدروس، وأكثر من فيه طلبة علم ويرى الشيخ أن يكون تذكيرك في المساجد الأخرى ، ويفضل أن تكون في أطراف الرياض ، وقال: وسلم لي خمس مائة ريال لمعرفته بحالي وظروفي المالية. فقلت لعبد الرحمن: هل عدت بعد ذلك؟ فقال :لا ..لا ، غفر الله للجميع.

* * *

٤٨- في عام ١٣٧٣هـ أمر الشيخ بإحراق ثلاث سيارات اثنتان سقس كبير والثاني جمس أمام جامع الرياض في الصفاة وذلك أن السيارات محملة بالدخان والمسكرات مهربة من الخارج .

* * *

٤٩- حدثني الأخ الغامدي - نسيت اسمه من سكان الباحة وقد كان يسوق بالشيخ محمد حال وجوده في الطائف - يقول الغامدي : في بعض الأحيان إذا خرجنا للشفاء بعد صلاة العصر للاستجمام واستنشاق الهواء الطلق يأمر الشيخ أن نمسك بطرف العصا ونحن ثلاثة وهو بالطرف الآخر فنتشاد العصا فلا نستطيع أن نزحزحه ويقول: شد وشد، ويعتبر هذا نوعاً من الرياضة.

* * *

٥٠- جاء رجل إلى الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم وقال له: دلني على كتاب إذا قرأته أختم به العلم لأقرأه على الشيخ محمد فقال له الشيخ عبد اللطيف : عليك بكتاب « تاج العروس » ، فذهب الرجل للشيخ محمد وقال: إني أريد أن أقرأ عليك كتاب «تاج العروس». فقال الشيخ محمد : من دلك على هذا ؟ فقال الرجل : عبد اللطيف فقال : اقرأ على الشيخ عبد اللطيف.

* * *

٥١- من كل يصلي في مسجد الشيخ من الأعلام والعباد.

(أ) الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي آل سعود، وكان يسكن غرب المسجد مجاوراً لبيت الإمام عبد الرحمن الفيصل، وهذا الأمير غاية في العبادة ، وشامة بين الناس في التنسك والزهادة ، طويل القامة، نحيف الجسم ، تالياً للقرآن قائماً وقاعداً ، وكان يجلس بجانب الشيخ محمد أثناء الدرس عن يساره لأن القارئ يبدأ من اليمين، كما كان له معتكف في شرق المسجد ، أتيت إلى المسجد يوم الجمعة الساعة الرابعة بالتوقيت الغروبي أي ما تعادل العاشرة بزوال فرآني وهو خارج من المسجد ليجدد وضوء فعاتبني على تأخري عن إتيان المسجد مبكراً حيث قال لي بلهجته : أفا أفا يا ابن الشيخ وكان رحمه الله يأتي المسجد يوم الجمعة من الساعة الثانية أي ما يعادل الساعة الثامنة بتوقيت الزوال ، وظل كذلك في مسجد الشيخ حتى انتقل إلى بيته

قرب مسجد ابن مرشد ، ثم إلى بيته في حي جبره وكلها كانت من الطين ، وقد تردد في إدخال تيار الكهرباء في بيوته متعللاً بأن من مضى قبلنا أمضى حياته بدون كهرباء ، وكان جليسه ومدارسه الشيخ فهد بن حمين، كما كان القارئ في بيته وغالباً ما يكون في مجلسه قراءة – غفر الله له – وقد قلت أبياتاً في رثائه أسردها فيما يلي:

غاب الهُمام ونورنُا الوضاء   فشكا الحُمَام رجالُنا ونساءُ

وشكا المُنزَّلُ فقْدَ تالٍ دائم   يحدوه خوفٌ دائمٌ ورجاءُ

نعت المساجد من أقام نهاره   فيها يظِل صباحه ومساء

فاعجب إليه فكل شيء عنده   غير التلاوة والصلاة هباء

ما كان هم محمدٍ فوق الثرى   أبداً ولكن همه العلياء

يعطي بلحظ صادق نحو الندى   فيروم كسب نواله الكرماء

ركب الجياد وخاض حرب عدائه   حتى تصافح للإخا أعداء

قد كان يطمح في النفوذ إلى السما   فتراه ندّ علوها الجوزاء

ما عاش في الدنيا لغير إلهه   لا لا ولا كشفت له عوراء

كُتب الممات على النبي محمد   من عاش مات فكان ذاك عزاء

أبت المنون أن تمن بمُكثه   في الأرض إلا ذكره وثناء

شحت به الأيام حين بدا لها   إن الحياة كوارث وعناء

فخذ الرثاء وقل عليك سلامنا   يا من تعذر في الوجود بقاء

(ب) أمير المهاجرين يحيى بن حزام اليماني وكان بيته جنوب مسجد الشيخ في سكة سد ، والشيخ يحيى له شخصية نادرة ، طويل القامة، أسفر الوجه، وكان من أهل الروضة في جميع الأوقات ، ومن الجدير بالذكر أن من اليمنيين من هاجر من اليمن حينما قامت دولة التوحيد واستقر الأمن واستتبت الأحوال ، ومنهم من شارك ابن سعود في حرب عسير، وقُتل منهم من قتل في وقعة حجلي بين أبها والخميس بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز ، والشيخ يحيى بن حزام من حفاظ القرآن ومن التالين له آناء الليل وأطراف النهار نحسبه والله حسيبه.

(جـ) الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف خال الملك فيصل يسكن شرق المسجد، فهو الآخر من المرابطين في المسجد في الخمسة الأوقات ، ويكون في الصف الأول ، لا يكون في الروضة ولا قريباً من الإمام ، فكأنه يرى أن أهل القرآن والحفاظ أولى بالقرب من الإمام ، وفيما سمعت أنه لم يطلب العلم لانشغاله بالحروب مع الملك عبد العزيز ، وكان فارساً يتحدث الناس عن فروسيته وإصابته الهدف حين رميه.

(د) الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد اللطيف شقيق الشيخ محمد ابن إبراهيم وخليفته في المسجد وخطيب الجمعة ، كان رحمه الله يفعل شيئاً لم يفعله غيره عند مروره بآيه السجدة فكان يقف حتى يستتم قائماً ثم

يسجد سجود التلاوة ، لحقت به ذات يوم وهو يمشي وحده فقبضته عن يمينه فقال لي : أظن سأقول لك ما قاله عمك الشيخ سعد بن عتيق حين أمسك به رجل من يمينه وقال: لقد حبستني فإما أن تتركني لأهتدي بالعصا وإما أن تكون عن يساري، فتحولت عن يساره فقال: الآن ، لأنه كان كفيفاً وبقي في مسجد الشيخ حتى تحول إماماً في مسجد الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ غفر الله له.

(هـ) الشيخ محمد بن حمد بن فارس، وكان يسكن الوسيطى جنوب شرق المسجد، وكان هو الآخر من رواد المسجد التالين والمرابطين في الروضة، وكان الشيخ له علاقة خاصة بالقصور الملكية حيث كان يعقد الأنكحة للأمراء وكبار الشخصيات من آل سعود ، فكان أول من اقتنى السيارة الخاصة ، وأبوه العالم الفذ الشيخ حمد الفرضي النحوي مأمور بيت المال.

(و) وممن كان يصلي في مسجد الشيخ من العباد حسين بن غانم اليماني ومهدي، وكانا يأتيان لصلاة الفجر أو بالأصح في التهجد الساعة السابعة ليلاً بالتوقيت الغروبي أي حوالي الساعة الثانية قبل الفجر، ويأتون للمسجد ونحن لا زلنا نذاكر دروسنا، فإذا ما جاءوا ونمنا وهم على تلك الحال في تهجد وتلاوة حتى إشراقة الشمس.

(ز) وكان ممن يصلي في مسجد الشيخ آل سليمان وهم عدد من الأخوة لا أعرف أسماءهم ولكن أحدهم كان يستخلفه الشيخ في الصلاة بالجماعة في حال سفره أو غيابه، فأذكر أن أحدهم كان يصعد إلى سطح المسجد ولو كان في الشتاء للتلاوة والتعبد بعيداً عن الأنظار غفر الله للجميع.

* * *

٥٢- قدم الملك سعود من سفره وكان هناك رجل صاحب إبل وهو المتكفل بشراء هذا للقصر من أهل بريدة ، وقد عقل مجموعة من الإبل على طريق الملك سعود باتجاه الناصرية، فلما أقبل الملك أمر هذا الرجل بنحرها واقفةً، وكان ذلك منه احتراماً وتعظيماً للملك سعود، فلما بلغ الخبر الشيخ محمد بن إبراهيم أمر بإحراق الإبل وحرم أكلها. ولا أدري هل عاتبوا هذا الرجل على فعلته واستتيب ، ولكن المعلوم أنه بقي في خدمة القصور الملكية باستجلاب الحواشي (الإبل الصغيرة) وخاصة في الأعياد، غفر الله له إن كان قد ذبحها تعبداً.

* * *

٥٣- حدثنا معالي الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي ونحن بمعيته في حائل أثناء جولته وزيارته حينما كان وزيراً للشؤون الإسلامية قال : كنت مديراً بمعهد حائل، وكان الأمير آن ذاك ابن مساعد، وفي صلاة الفجر صلى معي خادم الأمير، وبعد الصلاة قال لي : إن الأمير يطلبك. قال ابن تركي : فتوجهت إلى الأمير فوراً، وحين مقابلته قال لي :

ماذا طلبت من البلدية؟ قال: طلبت أرضاً للمعهد العلمي في موقع مناسب، فلما تباطأت البلدية بعدم التجاوب معي أخبرت مرجعي الشيخ محمد بن إبراهيم بذلك، ولا أدري إذا كان الشيخ محمد قد كلم الملك فيصل بالموضوع. قال ابن مساعد: سيأتي إليك مدير البلدية ويريك الأراضي ولك أن تختار الموقع والمساحة التي تريدها للمعهد العلمي.
قال ابن تركي: فتم ذلك بحمد لله على أوسع مساحة وبأحسن موقع.

* * *

٥٤- حدثني عبد الله بن سعدون المنتفق الشريف، وكان من أخص أخويا الملك سعود قال: أعطاني الملك سعود مبلغاً من المال وقال لي: عليك أن تخص بها الفقراء والمحتاجين ، قال ابن سعدون : إلا واحداً فقال سعود : من هو الواحد؟ قال: هو حمد ابن الشيخ سعد بن عتيق وذكر من صفاته عند الملك، فقال الملك : حقه علي وعليه أن يسجل ما عليه من ديون ومبالغ مستحقه ويصدقها من الشيخ محمد بن إبراهيم ، قال ابن سعدون : فطلبت حمد بن سعد أن يسجل ديونه ويصدقها من الشيخ محمد حسب ما أمر به الملك سعود، فقام حمد بتسجيل ما عليه، ثم ذهب إلى الشيخ محمد بن إبراهيم وأخبره بحاله وواقع أمره، فكتب معه الشيخ محمد ما بموجبه تم صرف جميع ما طلب حمد ابن الشيخ سعد بن عتيق قال : ابن سعودن وكان مقدار ذلك ثلاثون ألف ريال.

* * *

٥٥- حدثني الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم رحمه الله قال: كنت أصلي صلاة التراويح في بيت الشيخ محمد بيت أم عبد الله قبل أن تلد عبد الله فقال لي الشيخ : عليك أن تخفف صلاة التراويح للنساء وعلمت من ذلك بأن أم عبد الله كانت حاملاً بعبد الله، ففعلت ما أمر به سماحته وخففت الصلاة ، هذا وكان ممن يصلي في بيت الشيخ الكبير رجل يدعى مطر بن فيروز من أهل الشارقة كفيف ، أسود اللون ، طاعن في السن ، ولكنه حافظ لكتاب الله، ويُصلي بالنساء التراويح والقيام في بيت الشيخ الكبير.

* * *

٥٦- قال لي أحد الأخوة: كنا في بيت الطلبة قرابة العشرة ومعنا الأخ سعد بن محمد بن إسحاق بن عتيق ونحن على الإفطار في رمضان قلنا له: يا سعد، لا تكثر الأكل والشراب فإن الشيخ محمد يصلي خلفك في التراويح، فقال ابن إسحاق : أراهنكم على شرابكم هذا أشربه وأقرأ لكم آية الدين في نفس واحد؟ ولعلمنا أنه سيفعل لم نمكنه من شراب مشروبنا، وكان الشيخ سعد بن إسحاق هو الإمام في مسجد الشيخ محمد سنوات طويلة إلى أن تخرج وتوظف عام ١٣٧٦هـ غفر الله للجميع.

* * *

٥٧- تكاثرت الكلاب في مدينة الرياض وبالأخص حول المجزرة وأسواق اللحوم ومنها ما كان حول المحكمة الشرعية غرب القصر ، اشتكى الناس إزعاجها من النباح في الليل والتعدي في النهار فقامت البلدية باصطيادها، وتسليط الشباب عليها بإعطاء مكافأة مقدارها ريال لمن أتى بكلب، وقد جمعتها البلدية في حوش في العود، وكانت تؤكلها من بقايا فضلات البيوت ومن القصور الملكية، فلما علم الشيخ محمد بهذا أمر أن تنقل هذه الكلاب إلى نخيل الأحساء فلعل ذلك يكون أرفق بها ولكن من يحملها إلى الأحساء قد يهملها في الدهناء ، فهلك الكثير منها، وعاش البعض منها في نخيل الأحساء، وخف وانقطع شر الكلاب من الرياض.

* * *

٥٨- أهدى الملك سعود لمدرسي المعاهد العلمية بشوتاً من النوع الممتاز ما يسمى بالدربوجة أي محلى بالزري الجيد، وكان من أولئك العالم الفاضل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فلما سلم له بشته وأخذه إلى بيته ونظر إلى زخرف الزري قال : هذا به شيء من الذهب ولا أستحسن لبسه، فأخذ سكيناً وقطع الزري من أعلى بشته وخيطه ، وفي الصباح الباكر لبسه وذهب إلى المعهد، فلما رآه من رآه قال : يا شيخ محمد أذهبت زينة البشت بقطع زريه، وقيمة الزري تساوي أربعة من البشوت التي ليس بها الزري، فقال الشنقيطي : هذا أحسن لي. وظل

رحمه الله يلبس بشتاً وليس فيه شيء من زخارف الزري ، وأُخبر الشيخ محمد بن إبراهيم عن قصة هذا الشيخ عن تصرفه في هذا البشت، فقال الشيخ : عاقل في دينه زاهد في دنياه أو قال كلاماً في معناه غفر الله له.

* * *

٥٩- خرج الشيخ من المسجد وتبعه جمع من الناس يدلون بمشاكلهم ومعه أحد القضاة، وبعد أن انتهوا انفرد هذا القاضي بالشيخ وقال : أحسن الله إليك هذا وقت يستحسن ألا تفتح للناس باب المراجعة في مثل هذا الوقت بل تأخذ راحتك. فقال الشيخ محمد : عسى ألا تكون أنت كذلك ما يصح لنا أن نحتجب عن أحد في أي وقت فأصحاب الحوائج لا يُقدرون ظروف الآخرين.

* * *

٦٠- جلست ذات يوم عند ركبة الشيخ وقلت: سامحني سماحة الشيخ فإني أجلس في المجلس وأسمع من يتكلم فيك ولا أقدر على معارضته فقال رحمه الله : أسامحك بشرط ألا تجلس في مثل هذه المجالس ، ولم يسأل: ماذا يقولون؟ أو من كان يقول؟ وإنما وجهني بما هو أفضل غفر الله له.

* * *

٦١- في ذات يوم كان جالساً في المجلس والباب مغلق وفيه من يقول كلاماً غير لائق بسماحة الشيخ، فلما سمع القهوجي فتح الباب من أجل طرد هذا المتكلم، فأمر الشيخ أن يعود ويترك من يتكلم كما يشاء، وفي تلك الأيام كانت الصدقات توزع بواسطة الشيخ، ولكن الشيخ لا يتولى توزيعها بنفسه وإنما يكلف بذلك الشيخ عبد العزيز بن محمد أو علي بن خميس أو سويلم.

* * *

٦٢- بعد ما عُمر الجامع الكبير عام ١٣٧١هـ أمر الشيخ بنقل ابن ماجد بصفة دائمة في الجامع، وكان مؤذناً في مسجد الحماد قرب بيت الأمير ناصر بن عبد العزيز، فجاء المؤذن الأسبق وهو منفعل وتكلم بكلام فيه سوء أدب وقال: هذا مسجد أجدادي منذ تركي بن عبد الله فكيف ساغ لك أن تفصلني من المسجد وتعين ابن ماجد؟ فقال الشيخ: أنت على ما أنت عليه من المستحقات والأوقاف، وعليك أن تؤذن الأذان الأول، أما بقية الأوقات فقد كلفنا عبد العزيز بن ماجد بالأذان في الجامع الكبير.

* * *

٦٣- فتح معهد بريدة عام ١٣٧٣هـ وكان الناس آن ذاك يتكلمون في المعاهد العلمية وهم نزر يسير من بعض طلبة العلم المتعصبين، فرأى الشيخ أن يكون للشيخ عبد الله بن حميد الإشراف على المعهد العلمي، وأن يعطي بعض الدروس في المعهد، ويكون سكرتيره الشيخ محمد العبودي، فأقبل طلبة العلم من طلاب الشيخ ابن حميد وغيره على دخول المعهد ، فلما استقر المعهد أعفى الشيخ عبد الله عن الإشراف وأمره أن يعود إلى عمله في رئاسة المحاكم الشرعية بالقصيم، كما تم تكليف الشيخ العبودي بإدارة المعهد ، إدارة المعهد إدارة مستقلة ليراجع الرياض في شؤون المعهد، ولا علاقة له بالشيخ عبد الله بن حميد.

* * *

٦٤- صدر أمر سماحة الشيخ على عبد الرحمن بن عبدالله بن حمد بن عتيق بتولي القضاء ، وكان عبد الرحمن قد خلف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ بالإمامة في مسجد المريقب، وكان لهذا المسجد وقف، وللأوقاف ريع كثير، فلما ألح سماحة الشيخ على عبد الرحمن بالالتزام بالقضاء قال عبد الرحمن : أنا كما تعرفني لا أتحمل مسؤولية القضاء، وإذا كان قصدك المسجد تريد أن تعين فيه من

حمولة آل الشيخ فأنا أتنازل عنه. فقال الشيخ : ما دام هذا ظنك فإني أعدك أن لا أكلمك بعد اليوم في القضاء، والأمر يكون بينك وبين ابن سعود. وقد أمر الشائقي عبد الرحمن أن يواجه الملك عبد العزيز، فلما رآه الملك رق لحاله وقال : هذا هارب، فتركوه، وبقي في إمامة المسجد حتى توفي في ذي الحجة عام ١٣٩٠هـ.

* * *

٦٥- خطب الشيخ سعيد بن جندول في الحرم المكي خطبتين أو أكثر بتكليف من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن، ولما علم الشيخ أمر أخاه عبد الملك بن إبراهيم بمكة أن يبلغ الشيخ سعيد بالتخلي عن الخطابة في المسجد الحرام ، فكان جواب الشيخ سعيد: إنني كلفت بأمر من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ، وهو الخطيب في الحرم المكي، ولا أترك الخطابة إلا بأمر منه. فأبلغ الشيخ عبد الملك أخاه الشيخ محمد بما قاله الشيخ سعيد ثم جاء الأمر من الجهة العليا بعزل الشيخ سعيد عن الخطابة ، والشيخ سعيد تخرج في كلية الشريعة، وكان إماماً وخطيباً بمسجد الهادي بالطائف ، وله صداقة مع الشيخ عبد العزيز بن حسن، وزامله في وزارة المعارف.

* * *

٦٦- تحدث الشيخ ذات يوم عن الشيخ عبد الرحمن ابن راشد من أهل القصب قال : جاء يبحث عن بيت في الرياض فذُكر له بيت بجوار الوالد فقال ابن راشد : هذا بيت مبارك ولا أحتاج أنظر إليه ما دام جاره الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، لا أدري هل هذا كان بيعاً أم استئجاراً.

* * *

٦٧- جرت عادة الشيخ أن يلقي درساً في كل يوم اثنين قرب الجامع في الصفاة (حراج ابن قاسم) وكان أحد الطلبة قد لحن في حديث كان يقرأه على الشيخ، فغضب الشيخ ونهره وأسكته، وأنهى الشيخ درسه بالميكرفون، ولم يعد ذلك الطالب مرة أخرى للقراءة على الشيخ في السوق.

* * *

٦٨- استورد أحد التجار دجاجاً من الخارج وبقي في ميناء الدمام ولم يفسح له حيث أمر الشيخ بعدم إدخاله في المملكة لأنه جاء من جهة لا يعرف هل ذكي الدجاج أم لم يذكى وبقي التاجر يراجع الشيخ مرة بعد أخرى وأمر الشيخ بإعادته وعدم إدخاله في المملكة.

* * *

٦٩- ذُكر لي أن سماحة الشيخ كان برفقة الموكب الملكي موكب الملك عبد العزيز متجهاً إلى الخرج « السيح » حيث كان هو المصيف للملك عبد العزيز ، ورغب دعوة الشيخ إلى هناك، وفي أثناء الطريق غرز أكثر السيارات، ومنها السيارة التي يركبها الشيخ، فمر الأمير محمد بن عبد العزيز ورأى سيارة الشيخ والسائق قد أنهك ولم يستطع إخراجها، فجاء الأمير وأمر السائق بالنزول فركبها محمد وأخرجها من التغريز، ولحق بالموكب الملكي موكب الملك عبد العزيز.

* * *

٧٠- رَشَّحَ الشيخ عبد العزيز البشر لقضاء الأفلاج خلفاً للشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق وذلك عام ١٣٥٨هـ الشيخ عبداللطيف ابن محمد آل الشيخ مشافهة منه للملك عبد العزيز ، فقال الملك : سأستشير الشيخ محمد بن إبراهيم في الأمر ، فلما استشاره قال الشيخ محمد : ما يزال عبد اللطيف في الطلب ولم يتأهل في القضاء ولكن إذا عُين معه منصوب [١] ذا مقدرة وخبره فأرجو أن يكون فيه بركة ويقوم باللزوم ، قال الملك : هذا فهد ابن زعير من خواص أخويانا وكان أميراً في منطقة

---

(١) يعني أميراً .

جيزان. فقال الشيخ محمد : هذا حسن. وتم تكليف الأمير والشيخ وباشرا العمل في الأفلاج ، من ذلك العام حتى عام ١٣٧٥هـ ، سبعة عشر عاماً وفيما أظن أن الشيخ عبد اللطيف لم يتول القضاء في غير الأفلاج ، وكان سكنه في الرياض قرب الجامع الكبير، ويستخلفه الشيخ ابن باز في الإمامة إذا غاب .

* * *

٧١- ذكر لي سعد بن عبد الرحمن بن حمد بن عتيق أن الشيخ استدعاه وقال له : أنتم يا حمولة لا تلتزمون بالدرس كلما رأينا واحداً منكم متوجه ذهب إلى الأفلاج وأنت يا سعد سأخصص لك درساً بعد العصر في المنزل كما كان يفعل معي شيخي الشيخ سعد رحمه الله.

* * *

٧٢- صلى أحد أئمة المساجد التراويح إحدى عشر ركعة ثم استدعاه الشيخ محمد وأمره أن يصلي عشرين ركعة مع الوتر فقال الإمام : إن الشيخ ابن باز يصلي إحدى عشر ركعة فقال الشيخ : إذا صرت مثل ابن باز فصلي كما يصلي.

* * *

٧٣- كان الشيخ يتحدث عن عمارة الجامع الكبير وإنجازه في مدة قصيرة مع متانة البناء وارتفاع الأسقف ، وقال الشيخ : جلست أنا والشيخ عبد اللطيف مستندين على عمود واحد إذ أن مساجد الرياض أعمدتها مبرومة أما الجامع فأعمدته مستطيلة مربعة.

* * *

٧٤- جاء رجل إلى الشيخ يقول إنه رأى هلال رمضان فقال الشيخ : هات من يزكيك فقال الرجل : أنت تعرفني ولا أحتاج إلى تزكيه فقال الشيخ : شهادتك مردودة ولو جئت بمن يزكيك.

* * *

٧٥- كان ضمن مدرسي مسجد الشيخ في القرآن الكريم محمد المهدي الشنقيطي، وكان كثير الإنكار، وقد قال للشيخ: إنكم تمدون التكبيرة في جلستي التشهد، وقد ورد أن التكبير حذف أو قال: جزم. فقال الشيخ محمد : لا حرج في ذلك إن شاء الله ولاسيما أن الناس اعتادوا على هذا إشعاراً بجلستي التشهد.

* * *

٧٦- دعا الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عتيق قاضي ضرماء سماحة المفتي على غداء وكان رحمه الله قليل الاستجابة ولكن لخصوصية هذا الرجل استجاب له ، وسمعت الشيخ يناجي أخاه عبد الله فيقول : الله يهدي

ابن عتيق ذبح سبع أي ذبح سبع ذبائح إكراماً للشيخ محمد غفر الله لهما.

* * *

٧٧- اشتكى من اشتكى على الملك سعود كثرة المنكرات في الرياض، فدعا الملك سعود الشيخ محمد والشيخ عمر بن حسن رئيس الهيئات وبعض المشايخ وأخبرهم بما رفع إليه، ومما قاله الملك سعود : أتريدون مني أن أنزل للأسواق أنا وأخوياي ، فقال الشيخ محمد : اسأل الشيخ عمر عن استعداداته ومن معه ، فلما سأله أجابه الشيخ عمر إجابة لم تقنع الشيخ محمد، فاقترح الشيخ محمد على الملك وبحضور الشيخ عمر أن يكون رؤساء المراكز من خريجي كلية الشريعة أسوة بالقضاء ، ولكن الشيخ عمر اعترض وقال : لدينا من رجال الغيرة ورجالات الحسبة وممن لهم خبرة أفضل من الشباب والمتخرجين.

* * *

٧٨- كلف الشيخ محمد بعض المدرسين للمعاهد العلمية بإقامة دروس أسبوعية في المساجد، ومنهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي ، والشيخ محمد عبد الرحيم ، والأستاذ أحمد القط ، وغيرهم، وذلك لإزالة ما علق في أذهان بعض الناس عن المدرسين في المعاهد العلمية من بعض الأخوة المتعصبين.

* * *

٧٩- صليت صلاة الظهر خلف الشيخ محمد فحصل أن قطع الصلاة وأمر بإتمامها، فتقدمت وأتممت الصلاة وبنيت على ما سبق، ولم ينكر علي أحد رغم وجود أعضاء الإفتاء، وربما بلغ الشيخ هذا.

* * *

٨٠- كان بعض الأخوان إذا صلوا صلاة الفجر جلسوا في ناحية المسجد يتحدثون عما جرى في الرياض وأخبار ابن سعود، فبلغ الملك عبد العزيز خبر هؤلاء وأسماؤهم، فلما جلس يوم الخميس حضر منهم من يسلم على الملك وبجواره الشيخ محمد بن إبراهيم، فلما رآهم الملك التفت للشيخ وقال : هذولاء أهل الربع أي الذين يجلسون في زاوية المسجد يخوضون فيما لا يعنيهم لا دارسين ولا مدرسين.

* * *

٨١- قد أمر الملك عبد العزيز بصرف ستة أريل لكل طالب علم عند الشيخ محمد لكل شهر، فلما بويع الأمير سعود بن عبدالعزيز بولاية العهد طلب الشيخ محمد من الأمير سعود بزيادة مرتبات الطلبة فجعلها ولي العهد اثني عشر ريالاً أي ضعف ما أمر به الملك عبدالعزيز.

* * *

٨٢- قامت شركة عثمان ببناء مسجد على طريق المطار القديم حيث مقر الشركة ، وكانت هندسته تشبه هندسة الكنائس كما يقولون، وليس لها منارة ، فجاء من جاء إلى الشيخ محمد بن إبراهيم فأخبروه في كيفية بناء هذا المسجد الذي لا يصلى فيه إلا يوم الجمعة والذي يؤمهم فيه الشيخ مناع القطان المدرس في كلية الشريعة ، فأمر الشيخ محمد الشيخ عبد الرزاق عفيفي أن يذهب إلى المسجد ويصلي فيه وينظر فيما قاله القائلون عن هذا المسجد وأنه شبيه في عمارة الكنائس ، وبعد مشاهده الشيخ عبد الرزاق عفيفي لهذا المسجد أخبر الشيخ بأنه مسجد وليس بكنيسة إلا أنه لا منارة له ولا يفتح إلا في صلاة الجمعة ، فأمر الشيخ ببقاء المسجد واستمرارية الخطابة فيه ، وبقي كذلك أكثر من ثلاثين عاماً .

* * *

٨٣- ذكر لي الشيخ محمد بن مسلم بن عثيمين وكان قاضياً في الهدار قال : جئت الشيخ وقد صدر قرار بنقلي إلى البدع في ضبا قرب الحدود الشمالية الغربية فقال لي الشيخ : إن بعض الأخوان إذا كلف بعمل لا يمشي إليه إلا بجندي فقلت : أنا لا أحتاج إلى جندي ولكن أطلب صرف مستحقاتي سبعة أشهر فقال الشيخ : راجع عثمان الحقيل وكان آنذاك مديراً عاماً لرئاسة القضاة ، وقال: فراجعت عثمان وقد أمر بصرف مستحقاتي، وباشرت العمل بعد ذلك.

* * *

٨٤- كان صالح بن فريان صغير الجسم أعشى العينين جهوري الصوت يأتي إلى الشيخ فيدخل مع الباب الذي يدخل معه الشيخ في حال امتلاء المجلس ثم يرفع صوته بالسلام عليكم ، فيجيبه الشيخ بصوت أعلى من صوت صالح فيقول : اقلط يا صالح ، فيضطر من حول الشيخ أن يتفسحوا له حتى يجلس بقرب الشيخ، وكان غالباً ما يكون بجانب الشيخ ابنه الشيخ عبد العزيز وابن شلهوب، وقد يضطر ابن شلهوب إلى ترك المكان من أجل صالح بن فريان ، ولي مع صالح موقف: خطبت الجمعة في مسجد الفريان استنابة عن الشيخ عبد الرحمن ، وبعد الصلاة سلمت على صالح ، فسألني عن اسمي فأجبته، فمسح على كتفي وقال: ما شاء الله ما شاء الله تضحي ، أي إنك تجزيء في الأضحية غفر الله له.

* * *

٨٥- اشترى الشيخ جارية من أحد سماسرة العبيد، وبعد أن سلمه ثمنها أربعة آلاف ريال قالت للشيخ : إنني من أهل عمان، وقد خرجت لأحطب لأبنائي الحطب بعد العصر فغربت الشمس وأنا في عودتي إلى أولادي، وأخذني اللصوص وباعوني، ولولا أبنائي الصغار لما فضلت البقاء في غير بيتك. فأمر الشيخ بإرجاعها، وعاتب السمسار على فعلته هذه إن كان قد علم وكانت صادقة.

* * *

٨٦- كان للشيخ جارية تدعى مستورة هي التي تخدم الشيخ في أموره الخاصة، ومنها تنشيف يديه بالمنشفة بعد غسلها من الطعام، وكانت مستورة تعرض للبيت الثاني بيت أم عبد الله فينهرها الشيخ ويسكتها.

* * *

٨٧- كتب الشيخ زيد بن فياض مقالاً في مجلة راية الإسلام التي أُنشئت برئاسة سماحة الشيخ عن الدروز ومذهبهم، ونقل كلام شيخ الإسلام فيهم، فاحتج كمال جنبلاط اللبناني، واشتكى إلى الملك سعود، فأمر الملك سعود بإيقاف المجلة ، فراجع الشيخ زيد سماحة الشيخ وأخبره بما صدر من أمر الملك وقال الشيخ : عليك أن تمضي في عملك، وسأراجع الملك سعود في الموضوع، ولكن المجلة توقفت بعد مدة ، كان ممن يكتب فيها الشيخ صالح اللحيدان ، والشيخ علي الصالحي ولهم الإشراف على إخراجها ، ورئيس التحرير الشيخ زيد الفياض.

* * *

٨٨- كان الشيخ رحمه الله لا يستجيب للدعوات ولو في المناسبات إلا ما رأيته من استجابته للشيخ عبد الرحمن بن إسحاق وكان ذلك عشاء بعد العصر، عملت معهم على توزيع الملاعق، وكنت أرميها رمياً على السفرة، وغضب عليَّ محمد بن فارس وقال : ضعها برفق، يريد مني

تنظيم الملاعق على السفرة ، أما غير الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق فلا أذكر أنه استجاب لدعوة أحد على الطعام ، غير الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن عتيق قاضي ضرماء .

* * *

٨٩- كان الشيخ محمد يوم الخميس يوم جلسة الملك يجتمع عنده الشيخ سعود بن رشود ، والشيخ محمد المهيزع وبعض المشايخ للركوب مع الشيخ في السيارة والذهاب معه إلى جلسة يوم الخميس، وكانت سيارة الشيخ من السيارات الملكية الكبيرة التي تستوعب أكثر من ثمانية أشخاص وفي وسطها مرتبتان كبيرتان وكراسي صغار.

* * *

٩٠- تكلم الملك فيصل في المجلس الاعتيادي بحضور المشايخ فقال : ما قول المشايخ فيما نشر عن وصول للقمر؟ فقال الشيخ محمد: هذا ممكن لقوله تعالى : ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]، فلعل هذه الصناعة من السلطان، فقال الشيخ ابن باز : إذا ركب معهم أحد الإخوان وعاد وأخبرنا بوصولهم القمر صدقنا ، كانت إجابة الشيخ ابن باز فيها مداعبة وإلا فإنه لا يعترض على قول الشيخ محمد بن إبراهيم.

* * *

٩١- جاء رجل إلى الشيخ وقال: طلقت زوجتي ثلاثاً وسببه أنني جئت بأخي زوجتي الثانية إلى بيت زوجتي الأولى وأمرتها أن تعد طعاماً، فلما علمت أنه أخو للزوجة الثانية حرمت أن يأكل في بيتها قال: وكان القدر على النار، فأخذته من على النار، وكببته على رأسها، وطلقتها ثلاثاً. فقال الشيخ: عصيت ربك، وطلقت امرأتك.

* * *

٩٢- كان للشيخ ماء خاص للشرب ، والشيخ محمد البواردي يعرف ذلك، فدخل مجلس الشيخ وقال للصبي: الشيخ محمد بن إبراهيم يطلب ماء للشرب، يعني نفسه، فيأتي الصبي بالماء ويعرضه على الشيخ فيقول: ما طلبت ماء، فيأخذه البواردي ويشربه فيقول : أنا محمد بن إبراهيم.

* * *

٩٣- في عام ١٣٨٠هـ كتب الشيخ هذه الأبيات وأرسلها تعميماً لطلاب كلية الشريعة وهي:

طالب العلم في المعاهد والكليا ... ت مؤملاً نيل قدسه

مَنْ مجيبي عن سؤال ... قد تبدى في الوضوح لطرسه

هل مهتدٍ قد استوى مع مصلٍ ... في التصاريف واللزوم وعكسه

وبودي أن الجواب بنظم ... وببحر هو بحر نظمي بنفسه

* * *

٩٤- جاء سعد بن محمد بن سلطان من أهل وادي الدواسر وقال للشيخ : أنا كنت في رحيمة في المنطقة الشرقية، وقد رأيت على بيت القاضي عشة الشيطان، يعني التلفزيون، فسكت الشيخ ولم يجبه.

* * *

٩٥- أقام الملك فيصل مهرجاناً ضخماً في الملز شرقي الرياض، وقد نصب منبر طويل في ميدان الملز تكلم فيه الشيخ محمد بن سليمان الشيحة ممثلاً للمنطقة الشرقية ، والشيخ محمود الصواف ممثلاً للمنطقة الغربية ، وتكلم الشيخ محمد بن إبراهيم، وتعقبهم الملك فيصل وكان آنذاك ولي العهد، ولم يتكلم سواهم.

* * *

٩٦- أول من أخبر الشيخ بوفاة الملك عبد العزيز الأمير سلمان ، ففي ضحى ذلك اليوم جاء الأمير سلمان مسرعا على قدميه ، وأخبره الخبر، وعاد مسرعاً وقال: سيصلى عليه صلاة المغرب في الرياض ، وقد توفي الملك عبد العزيز في الطائف رحمه الله.

* * *

٩٧- في أحد الصلوات سها الشيخ محمد في الصلاة مرتين، فلحق به بعد الصلاة محمد بن عبد العزيز بن عتيق فقال للشيخ: هل أنت ستتزوج أم

ستسافر؟ فقال الشيخ : وما ذاك؟ قال : سهوت في الصلاة مرتين ، وبعد مدة قصيرة ظهر الخبر بأن الشيخ تزوج بنت ابن ناصر بالدرعية.

* * *

٩٨- قال الشيخ : بينما نحن على طعام الغداء طرق طارق الباب وكلمته الوالدة فقال الطارق : نريد الشيخ يعني - إبراهيم بن عبداللطيف - بيننا دعوى، فأتت الوالدة للشيخ فأخبرته ولم تكن الوالدة تعرف آنذاك أنه كان يجلس للخصوم؛ قام الوالد من طعامه وحكم بينهما وعاد ولم يكمل طعامه.

* * *

٩٩- بيت الشيخ كان من الطين، وأمر الملك عبدالعزيز بعمارته عمارة جديدة حينما سافر الشيخ إلى مصر عام ١٣٦٨هـ، وعاد الشيخ من مصر وقد تم بناء البيت من الطين ، وفي عهد الملك سعود أمر بإعادة بنائه مع توسعته بالمسلح وعلى طراز بيوت الأندلس في دخنة.

* * *

١٠٠- لا يقدم في بيت الشيخ سوى وجبة واحدة قبل غروب الشمس كعادة أهل البلد في ذلك الزمان، وهي وجبة الغداء والعشاء معاً ، وتكون غالباً من الرز والقرصان ، وربما صنع الجريش.

* * *

١٠١- كان يسكن مع الشيخ أبناؤه الثلاثة عبد العزيز وإبراهيم وأحمد، ولكل منهم غرفة مستقلة ، ولكل غرفة حمام.

* * *

١٠٢- للشيخ ثلاث مجالس ، المجلس العام ويسمى الديوانية وكان يوقد به النار بالفحم لإصلاح القهوة ، ثم بعد مجيء الغاز هدم الوجار وأخرجت أدوات القهوة من النجر وغيره إلى خارج الديوانية، ومجلس ثاني داخل البيت أشبه ما يكون بمجلس النساء ، ومجلس ثالث الأعلى وهو خاص للضيوف الكبار ومنهم الملك يوم العيد.

* * *

١٠٣- كان الشيخ يكلفني يوم زيارة الملك سعود لحمل الطيب (المبخرة) لأكون في مقدمة مسيرة الملك عند خروجه من بيت الشيخ حتى وصوله بيت الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ويناولني كماً من العود .

* * *

١٠٤- كان الأمير عبد الله بن عبد الرحمن لا يأتي لزيارة الشيخ إلا بعد العشاء، ولا يطيل السمر؛ لأنه يعلم أن الشيخ لا يفتح الباب بعد العشاء.

* * *

١٠٥ - بعد تأسيس المكتبة السعودية جاء الملك سعود لافتتاحها، وكان مديرها آنذاك الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، وقد نشبت سيارة الملك سعود في المدخل المتجه إلى المكتبة وهو قريب منها، فترجل الملك سعود، وأمر بعد ذلك بهدم ذلك البيت وتثمينه لأهله توسعة للمكتبة، فشكر الشيخ محمد الملك على صنيعه، وقد ألقى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد قصيدة عصماء بهذه المناسبة.

* * *

١٠٦ - كان الشيخ يلبس الزرابيل وهي الخفاف من الجلد تربط بخيط من أعلى الساق ووسطه.

* * *

١٠٧ - كان للشيخ مخبأتان واحدة على صدره وهي أحبهما إليه وبها المفاتيح والطيب والسواك والختم، ومخباة إلى جنبه وقل أن يستعملها.

* * *

١٠٨ - كانت تسكن خالته الهلالية في غرفة في مدخل البيت الكبير لا يدخل عليها أحد سوى المشايخ الثلاثة: الشيخ محمد ، وعبد اللطيف ، وعبد الله ، أما عبد الملك كان في الحجاز.

* * *

١٠٩ - كان للشيخ كتبة خاصون : صالح بن حيدر، وعلي بن خميس ، وعبد الله الصانع ، والأخير صار مديراً للمكتب الخاص.

* * *

١١٠ - كان الشيخ إذا أراد مساعدة أحد في المسجد أمر المؤذن عبد المحسن بن مفيريج أن يمشي على الصفوف ويعلن كل واحد ما تبرع به، ويبدأ بالشيخ محمد، وينتهي بآخر من يتكلم. وأذكر أن سائق الشيخ الشايقي تبرع بريال والمؤذن يقول: الشايقي ريال.

* * *

١١١ - حضر الشيخ في بهو الملز لجمع التبرعات للباكستان ، وأعلن الشيخ تبرعه بخمسة آلاف ، وعبد اللطيف بثلاثة ، وعبد الملك بألفين ، وفهد بن كريديس بعشرة آلاف.

* * *

١١٢ - جاء عبد الله بن فهيد وكان قاضياً في الجنوب يطلب نقله إلى الرياض ، وقال الشيخ : ليس في الرياض إلا الخصومات الكثيرة فقال ابن فهيد : أنا أبي الخصومات الكثيرة، فقال الشيخ: نعوذ بالله من ذلك.

* * *

١١٣- كان الشيخ عبد العزيز الشثري أبو حبيب يُدرّس في معهد إمام الدعوة ولكن لا يرتاح في التدريس بالطريقة النظامية ، فطلب من الشيخ أن يكون درسه في المسجد، فوافق الشيخ على ذلك. فكان الطلاب يخرجون من الفصول إلى المسجد ثم يعودون بعد ذلك إلى الفصل.

* * *

١١٤- كانت أم عبد العزيز تدعوني إسماعين فيقول الشيخ: أأنت إسماعين؟ أقول: أنا إسماعيل باللام، فيقول الشيخ: والله ما أنت بإسماعين، وعلمت فيما بعد أن إسماعين هو الضب.

* * *

١١٥- سافر عبد المحسن بن إبراهيم بن محمد إلى أمريكا للدراسة هناك ، فعلم الشيخ بذلك بعد سفره فأمره بالعودة ، ومثل ذلك ما حصل للشيخ عمر المترك حينما سافر ليحضر رسالة الدكتوراة في أمريكا لم يطب له المقام فيها فاستشار الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله فأشار عليه بالعودة وإكمال دراسته في الأزهر بمصر.

* * *

١١٦- تحدث الشيخ محمد حامد الفقي إلى الشيخ محمد فقال : نزلت القاهرة واستأجرت بيتاً وكان رخيصاً للغاية فسألتهم: لماذا هو

رخيص؟ فقالوا: به جن، فقلت: سأسكنه ولكن لا تخبرون أهلي قال: فكنت أخاطبهم فقال الشيخ: لعلك كسبتهم أنصاراً إذ كان الشيخ محمد حامد كما يسمي نفسه رئيس أنصار السنة المحمدية.

* * *

مسجد الشيخ في دخنة بالرياض قبل خمسين عاماً



في عام ١٣٧١هـ حظيت بما لم يحظ به الآخرون غيري ممن هم في سني أو أكبر مني وذلك بموافقة أو أمر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن أسكن غرفة في المسجد هي معتكف الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي رحمه الله.

وهذه الغرفة لها مميزات بأنها مجصصة بالجص الأبيض وأرضيتها قد صبت بالأسمنت بخلاف بقية الغرف الأخرى الداخلية بالمسجد وموقعها شرقي المسجد ملاصقة بجدار المكتبة السعودية وبابها قد صبغ بالصبغ البني وتغلق بالمغلاق الكيلون.

من هنا كان حديثي عن المسجد حديث من يكتب عن بيته ويتحدث عن مسكنه مسجد الشيخ هكذا أطلقت عليه الأفواه ولكن من هو الشيخ:

هو الشيخ المعهود محمد بن إبراهيم بن عبد الطيف آل الشيخ الحاضر في الأذهان غير أن التاريخ يثبت أن المسجد أسس عام ١١٨٧هـ خطه وحدد قبلته الشيخ عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، فكان هو مسجد الشيخ، تتابع آل الشيخ على إمامته والتدريس فيه .

خلف الشيخ عبد الله بن محمد الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وخلفه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، ثم الشيخ محمد بن إبراهيم حتى عام ١٣٨٩هـ ، ثم خلفه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبداللطيف إلى أن انتقل إلى الجامع الكبير، ويصلي الجمعة به حالياً

الشيخ المفتي محمد بن حسن بن عبد الرحمن ابن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، هكذا تسلسلت الإمامة لهذا المسجد من الأسرة المباركة آل الشيخ قرابة قرنين من الزمان.

والحديث عن مسجد الشيخ يتضمن عدداً من المحاور أجملها فيما يلي:

المحور الأول : الاستقرار السكني للطلبة ولكثرة الطلبة المغتربين من خارج الرياض وقد هيئ لهم استقرار سكني فكان هناك ما يدعى ببيوت الإخوان وعددها يزيد على عشرة ، ومنها بيت الإمام عبد الرحمن الفيصل غربي المسجد ، ومن سكان هذا البيت الشيخ عبد العزيز بن رشيد الذي كان آخر أعماله رئيساً لتعليم البنات، والشيخ سليمان العبيد رئيس رئاسة الحرم المكي والمدني ، ومن بيوت الإخوان بيت الطبيشي .

وكانت للملك سعود قبل ولاية العهد وهذه البيوت مجاورة لبيت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف شرقي المسجد ، كما كان للطلبة سكن يدعى بالرواق أو الرباط وهو عبارة عن غرف بنيت على دكاكين دخنة من الشرق إلى الغرب قرابة أربعين غرفة ، وفي ساحة دخنة إرتواز مائي يشرب الناس منه مقابل الرباط من الجنوب ، وله حوض كبير يدعى بالمدي مغاسل للعامة ويسقون منه بائعو الماء ، وكان إذ ذاك يسقى على الحمير ثلاث قرب أو أربع تنك ومجموعها يدعى بالزفة ، والزفة تباع بأربعة قروش، ويستخدم هذا الماء للشرب أو الغسيل إذ ليس فيه ما

يستقذر بل هو ماء زلال طبيعي ، كما وأن مسجد الشيخ يجاوره عدد من بيوت المهاجرين من اليمنيين وأميرهم يحيى بن حزام ، ومنهم حسين بن غانم ، وابنه عبد الله و محمد بن أحمد والمهدي ، كان هؤلاء وأمثالهم من عمار المسجد تعبداً وتلاوةً، وكان ممن يبادر في صلاة التهجد في المسجد عدد كثير يأتون في الساعة السابعة بالتوقيت الغروبي التي تساوى قرابة الساعة الواحدة أو الثانية بالتوقيت الزوالي يمكثون في المسجد حتى إشراقة الشمس ، وكان ممن جاور المسجد الشيخ عبد الله ابن سعدون المنتفق من أشراف العراق المهاجر حفظ القرآن الكريم وتتلمذ على المشايخ وأخيراً انضم إلى حاشية الملك عبد العزيز ، ثم الملك سعود رحمهم الله.

وبهذا يتبين الاستقرار السكني من أهم عوامل الرغبة ومواصلة الدرس وقد كان لهذه البيوت الوقفية أثره الطيب في احتضان الغرباء والفقراء من الوافدين إلى الرياض لغرض الدرس والتلقي له على علماء الرياض في مركز الدولة العاصمة.

أما المحور الثاني : فهو الإعاشة فقد رتب للطلبة مخصصات شهرية منها ما هو عيني كالتمر والأرز، ومنها ما هو نقدي. حدثني بعضهم قال : دعا الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف على مأدبة غداء، فلما تقدموا وجلسوا حول المائدة وضع الشيخ عبد الله يده على الصحن، فقال

الملك : سم الله يا شيخ وكل ، فقال الشيخ : لا أستسيغه وطلاب العلم في الغرف بعضهم لا يجد قوت يومه، فقال الملك : سم الله وأنا أعدك بما يصرف لهم إن شاء الله ، ثم أمر الملك عبد العزيز بصرف ستة أريل لكل طالب علم ، ثم جاء الملك سعود وجعلها اثنا عشر ريالاً، وكنت ممن استلمها ؛ كما يصرف لهم شرهتا الصيف والشتاء للكبير مائة ريال، وللصغير سبعون ريالاً، أما الطلبة القدامى فلهم مخصصات في بيت المال يصرف لهم من الزكوات من التمر والعيش وهي التي تدعى بالبروة.

المحور الثالث: التعليم وانتظام الدروس فقد كان هذا المسجد مناراً أضاء أرجاء الجزيرة العربية بالقضاة والمدرسين والمرشدين والداعين والمستشارين، فهو الجامعة، وهو الملتقى للعلماء، وقد كانت برامج التعليم فيه كالآتي:

أ- الشيخ محمد بن إبراهيم وهو عمدة المدرسين في هذا المسجد يبدأ من بعد صلاة الفجر حتى الضحى يُدرّس فنون العلم في التوحيد والفقه والحديث والنحو في المختصرات والمطولات.

ب – الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم أستاذ النحو والفرائض يُدرّس بعد كل فجر الأجرومية ، وبعد صلاة المغرب الرحبية في الفرائض.

جـ- الشيخ عبد الله بن إبراهيم يُدرّس في ناحية المسجد الأصول الثلاثة ومعرفة الرب لعوام الناس ، فكان يدعى عقب صلاة الفجر وبعد

عد المصلين أفراد يلزمون بالحضور عند الشيخ عبد الله بن إبراهيم لتلقينهم معرفة الرب وطرح الأسئلة عليهم .

د- مدرسة تعليم القرآن الكريم يُدرّس فيها آل مفيريج ناصر وابنه عبدالمحسن والتي قد دَرَسَ فيها الشيخ محمد بن إبراهيم القرآن الكريم على جدهم وكان لهذه المدرسة مبنى مستقل في ناحية المسجد الشمالية الشرقية على مدخل الباب.

هـ- تخصيص مدرسين في المسجد لتحفيظ القرآن الكريم وعددهم خمسة منهم الشيخ عبد الرزاق القشعمي ، والشيخ المغربي وهو أحسائي ، والشيخ محمد المهدي الشنقيطي ، والشيخ محمد بن أحمد اليماني. فهذا هو برنامج التعليم في مسجد الشيخ إلى أن فتحت المعاهد العلمية واستمر التعليم في مسجد الشيخ. وكان ممن يدرس فيه الشيخ عبد العزيز الشثري أبو حبيب ، وواصل سماحة الشيخ محمد التدريس فيه إلى أن شغل بمهام رسمية: الإفتاء ورئاسة القضاء والمعاهد والكليات غفر الله له.

المحور الرابع: المكتبة السعودية: وقد تبنى سماحة الشيخ محمد المكتبة مجاورة لمسجده من الجهة الشرقية ، ولعلها أول بناء مسلح بالأسمنت والحديد في الرياض، وقد استقدم إليها من الهند رجلاً يدعى بالحريري نظّم المكتبة ورتبها أحسن ترتيب ، وقام بإدارتها الشيخ عبدالعزيز

ابن محمد بن إبراهيم ، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم ، كما قام بإدارتها الشيخ محمد الدريبي وكيل وزارة الداخلية للشؤون الأمنية .

وبهذه المكتبة مخطوطات أثرية ومراجع علمية كانت تزخر بالمراجعين والباحثين، وأذكر ممن هو مرابط فيها الشيخ زيد بن فياض من العلماء البارزين والمؤلفين المشهورين ، وهذه المكتبة هي امتداد للنشاط التعليمي في مسجد الشيخ إذ كانت الكتب نادرة في أيدي الطلبة والباحثين وقد نُقلت هذه المكتبة إلى رئاسة البحوث العلمية، وأدخلت أرضيتها توسعة للمسجد ، كما وقد أهديت المخطوطات إلى مكتبة الملك فهد بالرياض في آخريات أيام الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

المحور الخامس والأخير: ترشيح من عُرف بالعلم والفضل من الطلبة للقضاء والإمامة والفتيا: فقد كان الشيخ رحمه الله يرشح من يرى فيه الكفاية والسداد لأعمال القضاء، ومن المؤكد أن ٩٠٪ ممن ولي القضاء في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم هم من خريجي المسجد إلى ما بعد عام ١٣٧٦هـ حيث بدأ التخرج من كلية الشريعة بالرياض، ولم يكن الشيخ يمنح إجازات ولا شهادات ولكنه يميز الطلبة تمييزاً عاماً في العلم والإدراك والعقلية وعلى هذا يتم ترشيح من يختاره للوظائف الرسمية وفي قمتها القضاء ، وكان تنصيب القاضي من قبل الملك عبد العزيز مباشرة من غير إصدار قرار محرر ولكن بالتوجيه والأمر، وربما

كان بالمكاتبة ، وكان الواسطة في ترشيح القضاة بين الشيخ والملك إبراهيم الشايقي السكرتير الخاص للملك، فالشيخ محمد بن إبراهيم يخبر الشايقي بأن فلاناً أهل للقضاء، ويخبر الشايقي الملك عبد العزيز، ويختار الملك الجهة التي تتناسب مع هذا المرشح، ويتم استدعاؤه لمجلس الملك وترشيحه على مشهد من الناس، وكان طلاب العلم لا يجرؤون على مخالفة ترشيح الشيخ لهم وأمر الملك عبد العزيز إلا النادر منهم، وهم قليلون، والمقصود أن طلبة العلم ومن يتلقون في هذا المسجد لهم الصدارة والنضارة ويشار إليهم بالبنان، فهم جهة التحكيم الراضون بشرع الله، والقاضون به بين عباده، ولم يكن منصب القاضي آن ذاك يختص بفض الخصومات وقطع المنازعات ولكنه له شمولية الولاية في إقليمه والجهة التي عين فيها، ولم تكن أعمال القضاء آن ذاك مرتبطة بالروتين الإداري أو المركزي فقد يحكم القاضي بقطع يد السارق أو قتل الجاني، فيتم تنفيذه بواسطة الأمير، اللهم إلا أن القتل وإقامة حد القصاص يحتاج إلى استدعاء مختص من الرياض لتخصصه في إحسان القتلة.

هذه المحاور الخمس التي كانت تعمر مسجد الشيخ كتبتها على إثر ما تناقلت به الأنباء عن بناء هذا المسجد وتشييده على الطراز الحديث عسى أن يكون لهذا التعمير نصيب لإحياء هذه المحاور أو بعضها حتى

يصدق على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨] نسأل الله أن يحقق الآمال على أحسن الأحوال، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد.

* * *

ديـــوان الرثـــاء

في فقيد الأمة وحبر الجيل
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
رحمه الله



تمهيد :

الحمد لله مفني الأنام ، الدائم الحي الذي لا ينام ... وبعد :

فبقدر ما يفقد المرء من توازن في حياته الاجتماعية بقدر ما يصاب من آلام وأحزان ؛ بقدر ذلك تكون مرارة الأسى وأليم الحزن، قد يعبر عنه شخص بأنين وآهات ، وآخر بريشة قلم يكتبهما عبرات دامية في السطور لتخلد في دنيا الكتب ، أو بنبرات من الشعر ونغمات تعكس ضوء الحقيقة في نفس الحزين ، ولئن كان هذا مجرى الطبيعة في الإنسان فإن هذا كله كان من أجل فقيد الأمة الإسلامية وحبر الجيل وشيخ المشايخ سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي توارى عمن يعز عليهم فقدانه ، فما أن دقت ساعة الحزن بأجراسها حتى سالت دموع ، وعمّ خشوع أعقبت ذلك مداداً سال على صفحات الصحف بنعي هذا الإمام رحمه الله ، وجاشت صدور الشعراء فنظموا عقود الجمان ، واستوحوا من أليم حزنهم ساطع البيان وبالغ التبيان.

فكان في مقدمة من رثاه بالشعر نجلاه الجليلان الشيخان عبد العزيز وإبراهيم ، تبعهم علماء فضلاء وأدباء بلغاء ، بلغ مجموع من رثاه عشرون شاعراً في اثنين وثمانين وأربعمائة بيتاً ، هذا ما طالعتنا به الصحف المحلية، وما علمت به ، وإذا كان هذا التراث العظيم والكنز الشعري الثمين قد تبدد على صفحات الصحف وتوازعته الأيدي مبعثراً منذ أن

كان الحادث الجلل عام ١٣٨٩هـ، ولم أعثر على من بعثه ونشره في كتاب واحد؛ رأيت أن إبرازه وإخراجه يضيف إلى المكتبة الأدبية و بالأخص دواوين الرثاء ما يعمر قلب القارئ المستفيد بالمعاني الجسيمة، والمثل العليا التي تمثلت وتمثل بها علماؤنا الأفاضل كأمثال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عليه من الله الرحمة والبركات.

هذا والله ولي القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مصاب أليم

شعر : إبراهيم بن محمد آل الشيخ

الشعر فيض الشعور ، والتعبير الصادق عما يختلج في النفس من مشاعر ، ولقد كان لوفاة فقيد الإسلام الأثر في نفس فضيلة الشيخ إبراهيم نجل الشيخ فجادت قريحته بهذه الأبيات التي يعبر بها عن المصاب الأليم الذي حلّ بالمسلمين .

مصاب كبير وجرح أليم	ورزء عظيم وخطب جسيم
يموت الحبيب ويبقى الأسى	ويودي العزيز وتندى الكلوم
بموتك يا - أبتي - أقفرت	ربوع المعالي ودور العلوم
بكتك الديار وسكانها	بكاء المحب ونوح الحميم
بكتك المعاهد أوليتها	عظيم الرعاية كي تستقيم
فأضحت مناراً ينير الطريق	ويمحو الظلام ويجلو الغيوم
بكتك المحافل توجّتها	بشرح الحديث وآي الحكيم
بكاك القضاء وأربابه	حماة الشريعة أهل الفهوم
بكتك الحنيفة حرزاً لها	تصون حماها وتنفي السموم
لقد عرفوك بما قدمت	يداك لهم من حنان كريم
لقد عرفوك تقياً نقياً	تحل العويص وتمحو الغموم
لقد عرفوك شجاعاً صبوراً	سلاحك تقوى الإله العليم

عفيفاً وقوراً ذكياً كريماً ... تحب الفقير وتؤوي اليتيم
بلغت من الفضل أوج العلا ... علوتَ السِماك وجُزتَ النجوم
تعالج بالعلم أدواءهم ... وترشدهم للطريق السليم
عليك من الله رحماته ... وأسكنك الخلد دار النعيم
ألا أيها القلب صبراً على ... عظيم المصيبة فهو أليم
ويا أيها النفس إن المصاب ... بأمر الإله فماذا الوجوم
فما عند مولاي أبقى له ... وخيرٌ وربي غفور رحيم
وموت الرسول به سلوة ... وفيه عزا للمصاب عظيم
وهذا قضاء رضينا به ... من الله وهو العزيز الحكيم
وليس بباق سوى ربنا ... ولا أحدٌ غير ربي يدوم
ألا إن تقوى الإله العزيز ... نجاة وأمن وفوز كريم
ومن يتق الله يجعل له ... فكاكاً ويرزقه وهو الكريم
ففكر لنفسك واعمل لها ... صلاحاً لتنجو يوم القدوم
وذكر الإله ربيع القلوب ... يزيل الغموم ويجلو الهموم
وذكر الإله حياة النفوس ... وخير أنيس وخير نديم
فداوم عليه ولا تنسه ... فخير لنفسك ذكر يدوم
صلاة الإله وتسليمه ... على المصطفى من كريم الأروم
وآل وصحب وأتباعه ... على الدين والخلق المستقيم

* الدعوة ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١، ص ٦.

ما ماتت النفس النفيسة وحدها

شعر: إسماعيل بن سعد بن عتيق

الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، وبعد :

ففي ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف حشرجت الصدور ، وأسبلت المحاجر دمعها المحجور بنعي مفتي البلاد ورئيس علمائها العلامة الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، فأثار هذا الحادث الجلل مرارة الحزن وعظيم الأسى ، فقلت هذه الأبيات رثاءً لفقيدنا المرحوم تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ، وأنا الفقير إلى الله الراجي عفوه وثوابه إسماعيل بن سعد بن عتيق.

الصبر أجمل والرضا لك أفضل	فالكل يفنى عاجل ومؤجّل
ما لابن آدم غير ما كتبت له	أيدي القضاء حقيقة لا تجهل
العين تبكي والفؤاد هوى به	نحو الكآبة رزء دهر أخطل
موت الإمام سليل مجد شامخ	صرح المكارم حبر جيل أول
حمدت مساعي جهده وجهاده	علم يلوذ به الكئيب الأعزل
ما ماتت النفس النفيسة وحدها	في جثة المفقود حين تسربل
بل قد تعدد خطبها وكأنها	روح الملا متسربل ومجندل
طابت نفوس أحبتي وأخلّتي	أن يجعلوه بشق أرض ينزل

لكنـــه في روضـــة ورياضـــها ... فـوق التـصور لا يـرى المتأمـل

أرجــو لــه لا بــالتقوّل خائــضاً ... في عـالم الغيـب الرهيـب مُحمِّـلُ

لكــن عنـــوان الـــسعادة لائـــح ... فـوق الجبـين يجيـب لمـا يـسأل

خمـسون عامــاً قــد تحمّـل عبئهــا ... بعــد المجاهــد عمــه لا يغفــل

طـوراً يـدرّس في الحـديث وفقهـه ... وعلى العقيدة حـادب مستبـسل

بحــر تلاطــم موجــه وتــدفقت ... خلجانــه عــبر الجزيــرة تعمــل

ومــن العجائــب أن تــرى ســنن ... مـوت الأئمـة في عقـود تكمـل

في تـسع عـشرة عـم والـد شـيخنا ... إسـحاق [1] ذاك العـالم المتكامـل

من بعده عشر السنين لوالد [2] الـ ... مرحـوم إبـراهيم حقـاً يحـصل

ثــم المبجّــل شــيخ نجــد عمّــه ... عبد الإله [3] عظـيم بيـت ينسل

من بعدهم شيخ السعود وسعده [4] ... ابنــا عتيــق [5] محــدّث ومــؤل

ثــم انتهــت خمــسون عامــاً جملــة ... عبـد العزيـز ختامهـا والمجْمَـلُ

وســلون في عقــدين لم يظفــر بنــا ... ملــك المنـون وجاءنـا يتجـول

يبغي حصيلة عصرنا صـدر العـلا ... مفتي الديار هو الوحيد الأمثـل

---

(١) مات عمه الشيخ إسحاق عام ١٣١٩هـ.

(٢) توفي والده إبراهيم عام ١٣٢٩هـ.

(٣) توفي عمه الشيخ عبد الله عام ١٣٣٩هـ.

(٤) توفي الشيخ سعد بن عتيق عام ١٣٤٩هـ

(٥) توفي الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق عام ١٣٥٩هـ.

لسنا من القوم الغواية دأبهم   شق الجيوب ولطم خدٍّ يسبل
لكننا نرضى ونُسلِمُ أمرنا   لله ربي ما يشاء سيفعل
ثم الترحم للفقيد مع الدعا   سنن عليها حافي ومُنعَّلُ
ولنا العزاء بنائب هو نجله   في مجلس الإفتاء لا يتعجل
وكذا الشقيق كبيره صلب القرى   ماضي العزيمة عامل متمثل
صلى الإله على النبي محمد   ما لاح برق أو توارى هيكل

* الدعوة في ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ ص ٦.

عزاء

رثاء الأستاذ / أبو سامي

مـرّ بي يعـصر جفنيـه الأسـى　　لاهـث الأنفـاس مـن لوعتـه
قلـت : مـاذا جـدّ هـل أمـر أسـا　　والى الطـاوي عـلى علّتـه
قـال : مـات الـشيخ وار بـدا المـا　　...............................[1]
...............................[2]　　في عيـوني مـن صـدى قولتـه
رحـم الله رحـيماً مـا قـسا　　منـذ أن كـان عـلى أمتـه

* * *

وتلفَّـتُ أرى مـاذا جـرى　　فـإذا الـدنيا جمـوع تهـرع
نـال مـنهم عاصـف دك الـذرى　　ففـدا النـاس عيونـاً تـدمع
أسـلموه بعـد حـين للثـرى　　حكمـة الله التـي لا تـدفع

* * *

مـات ، لكـن بعـد عمـر مخـصب　　ذاد فيـه عـن حمـى الـشرع وذب
عـاش للعلـم أبـاً أي أب　　كـم عـلى طلابـه يومـاً حـدب
كـم سـقاهم مـن لذيـذ المـشرب　　ولكـم بـوأهم أعـلى الرتـب

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

حقبـة مـرت كـأزهى الحقـب أينـع العرفـان فيهـا واسـتتب

* * *

جفّ نبع العلم والخلق الكريم وانطوى من ساحة الحكم علم

قبس إن ما دجا الليل البهيم وإذا ما اختصم القوم حكم

هو من دنيا المعالي في الصميم فعزاء للمعالي والشمم

ولدنيا العلم في البر الرحيم فلقد كان لها الحصن الأشم

* * *

* الدعوة في ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١ ص ٧.

حادث جلل

شعر : راشد بن صالح بن خنين

أشمس الكون قد منيت بخسف | أم البدر المنير علاه غيم
أم الشيخ الجليل قضى لنحب | فغُيِّبَ في الثرى علم وحلم
وليس فراقنا للشيخ سهلاً | ولكنَّ الفنا للخلق حتم
فموت الشيخ نقصان ورزء | يحلُّ بنا وللإسلام ثلم
هو السد المنيع بلا مراء | شديد الحزم دون الشر ردم
سديد الرأي مقدام رزين | عميد الدين والطود الأشم
يناضل في سبيل الله دوماً | وليس يصده عن ذاك لوم
قضى العمر المبارك في دروس | وحل للمشاكل إذ تهم
هو الشيخ المعلم والمربي | عزيز النفس صمصام وشهم
يناقش للمسائل في هدوء | ويحلم إذ يُسيء القولَ خصم
هو المفتي الموفق لا يبارى | يصير بأنه بحر خِضَمُّ
تلقاك الرحيم بفيض عفو | وجنّات بها النعمى تتم

* الدعوة في ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ ، العدد ١٣١، ص٤.

فقيد الإسلام

الشيخ صالح الأطرم

لقد كانت وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – مأساة على العالم الإسلامي لا على الجزيرة فحسب، فتحركت نفسي لهذه المأساة فحاولت شيئاً من النظم في رثائه، وقد كان – رحمه الله – فوق رثاء الجميع نظماً كان أو نثراً، فخاطبت عيني بهذه الأبيات:

أعينيَّ جودا بالدموع السواكب — على ما دهانا من عظيم المصائب
بآخر شهر الصوم قد حلّ بالورى — رزية فقد الحَبر جم المناقب
أفيضي دماً قد أظلم الجو بعد ما — هوى لغيوبٍ بدرهُ بالمحاجب
فنور سناه للمشارق بالغ — وفي كل قطر مشرق والمغارب
فما مر يوم مثل يوم رحيله — بعصر حياتي والزمان المقارب
فلا لك من عذر وغيرك ناحب — على موت شيخ بالمحافل صائب
فيا ليته بالنفس يفدى وكل ما — ملكناه من نقد وكل المكاسب
ليبقى أمام المشكلات يحلها — ويبقى أمام الظلم من كل غاصب
وتبقى مناصاً للضعيف حياته — فيسمو إلى أسمى العلا والمراتب
ويوضح نهجاً للشريعة والهدى — ويحمي حمى الإسلام من كل
فلا طمعاً للمغرضين لديننا — وملتمس التشبيه قصد المثالب
فعاش شجىً في حلق مبغض أحمد — ورائم جور ذي ضلال مغالب

فقيد الورى قد كان وارث أحمد ... ألمَّ بشرع المصطفى والمذاهب
فسل حلق التدريس في مسجد له ... وما شاده من معهد في السحائب
وما قد رعى من جامعات حوت ... صفي علومٍ ما بها من شوائب
فقرر كتباً في العقائد تدرس ... عقائد آل والصحاب الأطائب
وأخرى بفقه والأصول ومنطقٍ ... لسان قريش واجتماع مناسب
ودور الفتاوى والرئاسات للقضا ... إذا ما يلجُّ الخصم أيّ المشارب
يجد شربه عذباً فيروي غليله ... بدون لغوب أو محام مطالب
سوى جهبذ بالحلم والعلم ... وذي حكمة بالنازلات النوائب
لخمسين عاماً للمناصب شاغلاً ... شفيقاً على أهل له والأجانب
فهذي سجيات بمفتي الجزيرة ... أتته من المنّان رب المواهب
حفيد رجال ناصرين لديننا ... ذوي سيرة محمودة في العواقب
سما لهمُ ذكر إلى أنجم السما ... ثريا ومريخ وفوق الكواكب
لنصرة أبناء السعود أولي النهى ... حماة دعاة الحق ناءٍ وقارب
ولا شك أن الموت حتم على الورى ... وكل امرئ لله آتٍ وآيب
ولكن خيار القوم من مات يذكر ... بأشرف ذكر ما له من محارب
على المصطفى صلى الإله وسلما ... وداعٍ إلى الله العزيز وتائب

* * *

طمى بالورى فدح

شعر : صالح بن سليمان بن سمحان

طمى بالورى فدح ملا البر والبحرا ... بموت عظيم القدر من سكن القبرا
فقيد الورى بدر الدجى منبع الهدى ... كريم السجايا من سما وعلا البدرا
شقيق الندى عين الوجود جميعه ... عليم حليم ألمعيٌّ سما فخرا
غدا قدوة للعالمين بعلمه ... ونال منالاً كاد ينتعل الشعرا
فلله من حَبْرٍ سمى بفعاله ... ولله من حلم ثوى في الثرى مترا
برابع عشرين توفَّاه ربُّه ... بشهر عظيم القدر أكرم به شهرا
فيا معشر الإخوان صبرا فإنها ... مصيبة خير العالمين هي الكبرى
وما هذه الدنيا بدار إقامة ... سنرحل عنها أجمعون إلى الأخرى
فنسأل مولانا الثبات على الهدى ... وأن يتوفانا على الملة الغرا
ويا علماء المسلمين فأخلصوا ... سريرتكم عند الذي يعلم السرا
وكونوا جميعاً إخوة وتعاضدوا ... على الدين والتقوى ولا تؤثروا الضرا
وهذا المليك الفيصل الشهم ... وناصركم سراً وناصركم جهرا
فمدُّوا يداً من خالص القلب دعوة ... بأن يبق للإسلام ينصره نصرا
ويكبت أعداء الشريعة والهدى ... ويحفظه من كيد من رامه شرا
ويصلح إخوانا له وبطانة ... لديه وأنجالاً وعمَّاً بنا برا

وأخـــتم نظمـــي بالـــصلاة مـــسلِّماً   على المصطفى الهادي النذير أبي الزهـرا
وأصـــحابه والآل مـــا قـــال منـــشد   طمى بالورى فدح مـلا الـبر والبحـرا

* الدعوة في ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١ ص٦.

رجل فقدناه

شعر : ضياء الدين الصابوني

خَطْـــبٌ ألم والهـــول محتـــدم ... لله كــم هــاج فينــا خطبــك العــرم
هذي – الرياض – بكت فقـدان ... مفتـي الـديار الجليـل الطـاهر العلـم
بكــت بــه عالمـاً فـذاً أخـا ورعٍ ... يزينـه اثنـان : حـسن الخلـق والـشيم
واحسرتاه هوى من أُفقِهَـا علـم ... وقــد تنــاثر عقــد فيــه منــتظم
جـزاك ربـك فـيما كنـت تبذلـه ... في رفعـة الـدين فاهنـأ أيهـا العلـم
حققت للـدين والإسـلام عزتـه ... حتـى زهـت مكـةٌ بـل هلّـل الحـرم
بكتك رابطة الإسلام من حـرق ... وشـــاركتها جـــراح لـــيس تلتـــئم
لقد تركت فراغـاً لـيس يـشغله ... ســواك أو مخلـص في الـدين معتـصم
سُدُّوا المكان الذي قد كان يملأه ... أو فـــاتركوه وإلا مثلـــه عـــدم
وجهتها لطريـق الخـير فاتجهـت ... لك القلوب وحامـت حولـك الأمـم
بعثت منها قلوبـاً مـن مكامنهـا ... فدبّت الـروح وانجابـت بـك الظلـم
لمـا دعـوت إلى الإسـلام تـدفعنا ... فــما ونينــا ولم تقعــد بنــا الهمــم
أرى الحجـاز قـريح العـين ذا ألم ... دامـــي الفـــؤاد ونجـــداً ضـــامها الألم
تمسي على مضض والحزن يغلبها ... في كــل وجــه عليــه الحــزن مرتــسم
أن يجمع البأس والإيمان في رجل ... فــلا يبــالي بمــوج الهــول يقــتحم
في كــل قلــب حــب ثــائر يجــب ... وكــل بيــت أنــين الحــزن ينــسجم

تركتها وهي حسرى النفس ... أين المنابر والتشريع والقيم ؟
ها نحن نبكك من نفس ملذعة ... يبكي العفاف ويبكي العلم والكرم
إذا دعوت إلى الإسلام في بلد ... وجدت حرباً وثارت حولك التُّهَمَ
أمسى غريباً فيا طوبى لمغترب ... لم يثنه في سبيل الله منتقم
إن غبت عنا فذكراكم تخاطرنا ... فلا تفارقنا الذكرى ولا الحِكَمُ
ومن يكن عاملاً للدين منهجه ... هدي الرسول فلا هَمٌّ ولا سقم
نم هانئ البال مرتاح الضمير ... حظيت بالخلد والغفران لا جرم
الشِعرُ عاطفة تنساب دافقة ... يزيدها الوجد إلهاباً فتضطرم

* الدعوة ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ ، العدد ص ٦.

ولئن تفطرت القلوب

شعر : عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

في غمرة من الأسى والألم نظمت هذه القصيدة رثاءً في والدي فقيد العلم والوطن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية أسكنه الله فسيح جناته ، وألهمنا بعده الصبر والسلوان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

خطب دهى فبكى له العلماء | وبكت لهول مصابه العقلاء

مات الإمام بعلمه فدياره | قَفْر إذ عُدّ الرجال خلاء

قد عاش فينا مصلحاً ومجاهداً | يرعى الشريعة، للذمام وفاء

واستقبلته يد السماء بفرحة | والناس في الدنيا له شهداء

***

إيهِ فقيد العلم كم لك من يدٍ | مشكورة، فأكُفّك البيضاء

كم كنت في الإسلام طوداً شامخاً | تدعو وقولك حجة وضياء

كم كنت في الليل الدجنة مِشْعَلاً | قد أشرقت بضيائه الأرجاء

في الله في الإسلام كنت مناضلاً | تنفي الردى وتسوؤك الفحشاء

***

قد كنت للعلماء شيخاً رائداً | ترعاهم بالبر وهو حباء

بالعقل بالرأي الحكيم بمسحة | من علمك النبوي وهو شفاء

قد كنت حجة عصرنا والقول منك الفصل إن أعيا القُضَاةَ
عدل رضا في الناس حكمك عادل وبه القناعة ما عليه غشاء

***

قد كنت للمحروم تبذل في الخفا لا منّة ممنونة ورياء
وزكاة جاهك ما بخلت ببذلها سمحاً كريماً هكذا العظماء
وإذا لئيم جاء نحوك بالأذى فالصفح منك خلائقٌ شماء
وإذا الذي بالجهل ظل مكابراً مثل الولي صنائع سمحاء

***

لا تسمع الواشي ولا تصغي له خلق زكي هكذا العلماء
لم يفتقدك بنوك حسبُ وإنما بكت الديارُ رجالُها ونساء
ولئن تفطرت القلوب أسى على فَقْدِ الحبيب فإنها بَلْواء
بقضاء ربي حكمه ومراده راضون لا ما يفعل الجهلاء

***

مات النبي وموته فيك العزا وقضاء ربي رحمة وعزاء
يا رب أمطره بوابل رحمة من فيض جودك وهو جد
ثم الصلاة على الحبيب شفيعنا في الحشر تلك شفاعة حسناء

* الدعوة ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١ ص٧.

من ذا يقيس الدر بالأصداف ؟

شعر : عبد الله بن إدريس

هي محاولة عن التعبير الشعوري لفقدان شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم – رحمه الله – على بعد بيني وبين الشعر منذ انشغلت بالعمل الصحفي في هذه الصحيفة التي أخذت مني وقتي وتفكيري معاً.

ما عاش إلا للعلوم وشرعة ... وقضى الحياة مكرم الأوصاف

ناداه من نبع المكارم محتد ... فغدا يعيد مآثر الأسلاف

خمسون عاماً للشريعة خادم ... نعم الكفاح موسع الأكناف

لله للإسلام ، أكرم ما بنى ... وأجل ما أوحى من الأهداف

قد كان سداً دون كل مبادئ ... خطاءة طافت بكل مطاف

وحمى العقيدة أن يشوب صفاءها ... كدر يميل بها إلى الإتلاف

قد كان طوداً تشامخاً متألقاً ... في العلم والعقل الرجيح

هو نادر في عصرنا .. هو درة ... من ذا يقيس الدُّرَّ بالأصداف ؟

***

أملى على التاريخ سِفراً خالداً ... بالصدق لا بالمين والإرجاف

فأقام للعلم الرفيع معاهداً ... تسمو على هام الزمان فيافي

أضحت لأبناء الجزيرة مورداً ... ثَرّاً .. كشلال الضيا الشفاف

كانت دعامة نهضة جبارة ... نعمت بها في سائر الأطراف

***

ورعى القضاء بهمة وروية | ما رام غير العدل والإنصاف
وأضاء بالإفتاء ليل مشاكل | بالعلم والرأي السديد الوافِ
وإذا ادلهمت مشكلاتٌ عويصةٍ | فلها – ابن إبراهيم –
يا من تجسد في القلوب محبة | في الله تبدو دون أي سجاف

***

ما مر يوم مثل يومك فاجعاً | أحزانه فاقت رؤى الوصّاف
ولشد ما كان التأثر والأسى | يفري العيون بها مُهَطَّلٌ وكافٍ
حملوك أعناقاً لأنك منهمُ | كالرأس من جسد ولات خلاف
وعلى شفير القبر فضلك ودّعوا | لجوار ربك في النعيم الضافي
يا رحمة الله الكريم تغمدي | روح الفقيد بسابغ الألطاف

* * *

الحمد لله على كل حال

فهذه أبيات قليلة أنشأتها قريحتي المزجاة الكليلة، معبرة عما أصابني من الكآبة والحزن العظيم بمصاب فقيد المسلمين شيخنا: محمد بن إبراهيم أسكنه الله جنات النعيم، وأنا الفقير إلى الله عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان.

لأبناء شيخي والملوك جميعهم ... وأعلام نجد من شيوخ أفاضل
بعثت نظامي والتعازي بعبرة ... تفيض دموع العين سحّا كوابل
لفقد إمام حاز في العلم رتبة ... يُقَصِّر عنها كل حاف وناعل
وأعني به شيخ المشايخ كلهم ... رئيس القضاءِ والفتاوى لسائل
إمام حوى علماً وبثّ علومه ... لطلاب علم في الضحى
فلله كم من مستفيد أفاده ... علوماً جليلات وأبهى مسائل
ولله كم من عَبرة إثر عَبرة ... تعبر عن قلب كثير البلابل
لفقدان حبر عالم ومعلم ... وداعٍ لأهدى منهج للأوائل
لقد صابنا حزن مرير ولوعة ... لفقد إمام العلم بدر المحافل
فيا شيخنا نِلْتَ المزيد ورفعة ... لدى الله في أعلى الجنان الكوامل
ويا إخوتا صبراً جميلاً لفقده ... لتحظوا بأجر من منيل الفواضل
ففي موت خير الرسل أعني ... عزاء لنا في فقد جم الفضائل
ولو كان لي في الشعر باع طويلة ... لحبرت أبياتاً لزين الشمائل

تُعبِّر عما في الضمير من الأسى ... وأحزان قلب من فقيد الأماثل

وأختم نظمي بالصلاة على الذي ... بذكراه تنزاح الهموم القوائل

محمد الهادي لخير شريعة ... وآل وأصحاب بِعَدِّ الهواطل

* نقلت من خط الناظم بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٣٨٩هـ.

جفا جفني المنام

شعر : عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سليمان بن سحمان

جفــا جفنــي المنـام لمـا دهـــاه ... مـن الخطب العظيم وسال مـاه
مـــصيبتنا جميعـــاً في حجـــاز ... ونجـد والحـسا وقـرىً ســواه
تَرحَّـــل عـــالم بحـــر خـــضمٌ ... عـــن الـــدنيا وخلفهـــا وراه
إمـــام فاضـــل مـــا مـــن شـــبيه ... لـــه في عـــصرنا أبـــداً تـــراه
محمـــد نجـــل إبـــراهيم أعنـــي ... ســـليل الـــشيخ محمـــوداً سراه
لـــه في العلـــم بـــاع في حـــديث ... وفي التوحيـــد ثابتـــة خطـــاه
وفي فقـــه وتفـــسير ونحـــو ... وفي علـم الأصـول علـت سماه
رئـيس معاهـــد وقـــضا وإفتـــا ... يحـــل المـــشكلات لمـــن أتـــاه
لقـد غرقـت عيـون مـن دمـوع ... عـــلى فقـدان مـــن ألفـت لقـاه
عـــزاء في مـــصيبتنا وصـــبر ... لمـــا ربّ البريـــة قـــد قـــضاه
ففـــي مـــوت الرســـول لنـــا عـــزاء ... وفي الخلفـــا ومـــن تبعـــوا هـــداه
ولـــن ننـــساك والـــدنا دوامـــاً ... فـــذكرك في القلـــوب بهـــا نـــراه
سقى جَـدَثاً يـضُمُّك وَبْـلُ غيـث ... مـــن الغفـــران مخـــصبة ربـــاه
فكـــم أســـقيتنا عـــذباً زلالاً ... مـــن العلـــم المـــضيء لنـــا سناه
جـــزاك الله بـــالفردوس عنـــا ... وأعطـــاك المثوبـــة مـــع رضـــاه
وصـــلى الله ربي كـــل آن ... عـــلى خـــير البريـــة مـــصطفاه
وآل والـــصحاب وتـــابعيهم ... ومـــن نَهْـجُ الـــشريعة مقتفـــاه

* الدعوة ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١.

رحيل ابن إبراهيم

شعر : محمد بن عبد العزيز بن هليل

على شيخنا الحبر الجليل محمد ... حفيد إمام المسلمين محمد
محقق توحيد الإله بدعوة ... تجلّت بنهج مستنير محمدي
على شيخنا الشهم الأديب أخي ... حميد السجايا ذي التقى والتعبد
هو العالم النحرير نبراس عصره ... وصرح العلى والدين فخر الموحد
فتى الشيخ إبراهيم من ذاع صيته ... بعلم وأخلاق ومجد وسؤدد
تحدّر فيض الدمع ينهلُّ ساكباً ... على كل خد بالدموع مخدد
وأجّجَ للأشجان والحزن والأسى ... لهيبَ التيَاعٍ في الحشا متوقّد
مصاب عظيم في المصائب فادح ... على عالم الإسلام أدنى وأبعد
وخطب به أضحى الجميع مفجعاً ... بحال كئيب في الدياجي مسهد
رحيل إمام ألمعي مهذب ... أخي ثقة صافي العقيدة مقتد
وبحر خضم في العلوم محقق ... بأصل وفرع بالدليل المؤيّد
تلقى فنون العلم عن كل جهبذ ... ثقات دعاة الخير من كل مهتد
هو العالم الربّانِ ربى بعلمه ... لأفواج طلاب كثيري التعدّد
فمن وارد البحر الفرات وصادر ... تَرَوّى فأروى في الورى الصافي
هو الشامخ الطود الأشم فلم تكن ... عواصف قد هزّت لطودٍ موطد
ثبات وصبر واستقامة موقف ... بغير تخل واتجاه مفنّد

وفصل وعدل في القضاء وفطنة　　　وصائب حكم دون أي تردد
عفاف وإنصاف وحزم وهيبة　　　وحكمة رأي في الأمور مسدّد
بكل اتزان لائق وسماحة　　　لصالح حق مستبين مؤكد
وعطف وجود في المكارم والعلا　　　ولطف بلا ضعف مخل بمقصد
مع الأدب الراقي بخير فنونه　　　بنثر وشعر رائع النظم جيد
وإن ائتمار الآمر الأمر أولاً　　　لازجا قبولاً في المقام لِمرشد
قضى شيخنا عمراً مديداً ممتعاً　　　سعيداً عزيز القدر غير منكد
قضى ومضى والكل لله راجع　　　وما للقضا غير الرضا والتحمد
فمن لعويص المشكلات وحلها　　　إذا حارت الأفهام عند التردد
ومن للمهمات الثقال وحملها　　　بهمة شهم صادق العزم منجد
رحيل [ابن إبراهيم] رزء وإنه　　　تقوّض صرح في الرشاد مشيد
سقى وابل الغفران والعفو والرضا　　　من الله رمساً حلّ فيه بملحد
وفاة نبي الله أعظم في العزا　　　وما بشر إلا وغير مخلّد
بدار الفنا فالموت فيها تحتم　　　وما من مفر فالمنايا بمرصد
وإن طالت الآمال سهواً وغفلة　　　فقد خطّت الآجال أصدق موعد
فطوبى لمن يخشى الإله حقيقةً　　　يراقبه صدقاً بغيب ومشهد

* الدعوة ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١ ص ٧.

دمعة على الإمام الراحل

شعر : الدكتور : محمد كامل الفقي

دهى الجزيرةَ خطبٌ ليس يحتمل ... فلتنفطر مُهَج ولتنهمر مقل
الراحلون قرون ، والردى شعب ... وأفجَعُ الموت ما ماتت به المثل
والناس إن فقدوا بالموت رائدهم ... ساروا على حلك ضلت به السبل
من للشريعة والأخلاق يحرسها ... أو يستطب لها إن لجت العلل
والهفتاه على الدنيا وبهجتها ... رهن براع لها من فقده أجل
لا تحسبوا الناس أحياء إذا يتموا ... سيان إن غيبوا أو غيب الرجل
في كل بيت نحيب عند فجعته ... وبالمنابر من ترحاله شُغل
والناس لو أنصفوا ما انفضَّ ... بكاؤهم لمعين الرشد لو فعلوا
بكاؤهم للذي يحمي شبابهمُ ... من الضلالات لا تيه ولا دخل
من كان ردءاً لدين الله يحفظه ... وعاش نضواً لما جاءت به الرسل
من ردّ كيداً عن البيضاء ... به فمنه لها ردء ومتكل
من ناصر السنة الغراء محتفلاً ... فلم يحد عن سنها القول والعمل
أكبرت يومك والدنيا مشيعة ... بك الضياء وقد غاصت بك
في موكب تزحم الأملاك ساحته ... للناس دمع وللأملاك محتفل
يا صاحب العزم لم يعرض له وهن ... وثاقب الرأي يجزي دونه الجدل
ورائد الفقه ما رانت به شبه ... وذاخر العلم منه العل والنهل

كنتَ الشجاع الذي في الله غضبته ... وكل جرح بها داويت يندمل

قهرت أعداء دين الله فانخذلوا ... لهفي عليك ، فهل يصحو لهم أمل؟

أنشأت للعلم دوراً في محافلها ... ترى الجحافل لا هانوا ولا خذلوا

أقر عَينـيَ أني في دروعهمُ ... وشدَّ عزميَ أن لي فيهمُ نزل

إن غابت الأُسد في آجامها أُسُد ... والبدر يبدو هلالاً ثم يكتمل

وبالجزيرة سيف في يدي عمر ... يحمي الهداة ويصحى من بهم خلل

أقمتَ للعلم درواً في رعايتها ... زكت مبادئ بالقرآن تتصل

من كل ماض لنشر الحق ومضته ... وكل قاض بثوب الطهر يشتمل

كواكبٌ تفضح الأهواءَ طلعتُها ... لله ما قطعوا لله ما وصلوا

صانوا عهود نبي الله وامتشقوا ... عزائماً لم ينل من حدها وجل

إن الرفاق أجدُّوا البين وارتحلوا ... يا ليتنا إثْرهم نمضي ونرتحل

ماذا بدنياك إلا أنها خدع ... وفي حياتك إلا أنها علل

أَعْظَمْتُ مَنْ دخل الدنيا وغادرها ... لا ناقةٌ عندهم فيها ولا جمل

والجاهلون يغذُّونَ المسير إلى ... سنا سراب فلا تروى به غلل

ما دام يومك بعضاً منك فاسمُ به ... وهبه للخلد ، فالرضوان متصل

والذكر عمر مديد والعظائم لا ... تفنى ، وفاز بدار الخلد من عملوا

* الدعوة ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ، العدد ١٣١، ص ٧.

يا للجراح نجيعها قمم النهى

شعر : محمد بن سعد بن حسين

اليـوم فلتبكـي الجزيـرة إنهـا بمـصابها مهـزوزة الأركـان
اليـوم فلتبكـي الجزيـرة جهبـذاً لا كالجهابـذ حكمـة ببيـان
يـا للـشريعة بعـد فقـد محمـد من بعد ما فُقد الحكيم الثـاني
بـدران في دنيـا الـشريعة لم تـزل بـضياء رأي مـنهما بأمـان
ركنـان في دنيـا العلـوم تهـدما لكـن بـذاك تعـانق الـشيخان
من بعد ما طـال الحنين طواهمـا بالعود روض مشرف الأركان
أمحمـد والقـوم بعـدك يُـتَّم من ذا يجود بحكمـة وحنـان؟
مـن ذا يـسوس الأمـر بعـدك بـالرأي كنـت شـجاعة
أمحمـد مـا أنـت شـخص محمـد بـل أمـة باتـت بغـير جنـان
الله أكـبر كنـت نـور مجـالس يهدي العقول بعيدها والـداني
كنت الإمـام لكـل طالـب سـنة أو مستزيد من هُـدَى الفرقـان
أو باحث ما قـال أربـاب النهـى في الفقـه والتوحيـد بالتبيـان
حتى لسان العُـرْب كنـت مجليـاً في علمه مـن قبـل كـل لـسان
مـاذا يعـزي أمـة مكلومـة قذفت بها الويلات كل سنان
يا للجراح نجيعهـا قمـم النهـى وذرا البيـان وأثبـت الأركـان
مـاذا أقـول وكـل نفـس حرقـة أعيا من الخطب العضال بيـاني

أشـــكو إلى الله القـــدير مـــصابنا ... أشـــكو إليـــه كـــآبتي وهـــواني

يـــا رُبَّ يـــوم كنـــت فيـــه مـــنعَّماً ... أصغي لصوتك مرهف الآذان

واليوم قد عز اللقاء وحث جلل ... بـــين المبـــين مطيهـــا الحـــدثان

فتمزق الشمل الجميع وأترعـت ... كأس الـردى حثيثـة الـدوران

ربَّـــاه إنـــك عـــالم بمـــصابنا ... هل مـن طريـقٍ رَبِّ للـسلوان

إنـــا إليـــك لراجعـــون وحـــسبنا ... بالصبر لا الـسلوان والنـسيان

* الدعوة ، التاريخ ١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ ، العدد ١٣١، ص ٦ .

وداعاً أيها العَلَمْ

للدكتور / محمد عبد المنعم حفاجي

أمات الشيخ ؟ هل ذهب الإمام؟ وطار به إلى الخلد الغمام
أمات؟ وكيف للشيخ المرجَّى وفي الظلمات يلقاه الحِمام
أمات ؟ بلى ، فإن الشيخ حي تحف به المحبة والسلام
فبدل جيرة الدنيا ، وفي جيـ رة الله العلي له مرام
وعمّ المسلمين عليه حزن وعمهمُ التفجُّع والظلام
بكاه ، بكى الإمامَ الفردَ شرقٌ وغربٌ ، والممالك والأنام
ويبكيه الهدى والعلم والد ين والإسلام والبيت الحرام

***

أمات الشيخ ؟ هل ذهب العميد فآفاق الحمى كالليل سود
نعم ، مات الإمام ابن الإمام الـ جليل ، وسار تبكيه النجود
ففي نجد ، وفي ربوات نجد أسى ودموع حزن لا تبيد
وفي أرض الحجاز أنين شعب قد اهتزت به حضر وبيد
وداعاً أيها العَلَم المفدَّى سلاماً أيها الداعي الحميد
فليس لما بنيت اليوم مثل وما لك في الورى أبداً نديد
وفي البيداء ترقد في جلال ويخشع حول مرقدك الوجود
كسا الرحمن تلك البيد مجداً وأنت بجوفها الداني البعيد

أمات الشيخ والرجل النبيل؟ نعم ، مات الهدى النور الجليل
بنى لله ، للإسلام دوراً معاهد ما لها فينا مثيل
تقربها الملائكة العلى واحد طفاها الله دوراً والرسول
كواكب في المهامه والفيافي وليس لنورها الزاهي أفول
بها الطلاب والعلماء كثر وحشد الدارسين بها مثول
بها الصحراء قد عزت وسادت وتشرق في جوانبها العقول
يحج لها الشباب ، وعز جيل تخرج من مدارسها وجيل
وكان محمد أبداً حفياً بها ، وفعاله أبداً نبيل

* * *

أمات الشيخ ؟ هل ذهب الحفيد؟ ومن طابت بمنته الجدود
أبيٌ والأبيٌ يعيش حراً كأن مضاءه القدر العتيد
فما يلهيه في الإغراء وعد ولا يثني عزيمته وعيد
صحائفه لكل فتى نشيد وذكر بلائه أبداً جديد
صحائف أمسه مُلئت فخاراً وفي العلياء ماضيه فريد
ومجد جهاده في الدهر باق يضن به على الدهر الخلود
ومرمسه يفوح شذىً وعطراً وتجفوه الأزاهر والورود
ومنه غدا تراب الرمس تبراً ومن سكن التراب هو السعيد

* * *

إمــام المــسلمين لقيــت خــيراً — وكافــأك الإلــه العــدل بــراً
أقمــت لــدين أحمــد ألــف دار — تبـاهي الـنجم مكرمـة وفخـراً
وســاعدت الأرامــل واليتــامى — بمالــك لا تريـد بـذاك فخـراً
وعـشت وأنـت أكـرم مـن كـريم — ومت وأنت أعـلى النـاس ذكـراً
دفعــت عــن العقيــدة كــل شر — وذدت عن الهدى ، ووقفت حراً
وقلــت الحــق لا تخــشى ملامــاً — ولا تحنــي لغــير الله صــدراً
ولست تخاف مـن أحـد ، ولا مـن — زمـان الـسوء في الأيـام جـوراً
بزغــت عــلى الحيـاة هـدى ونـوراً — وقلبـاً صـادقاً وسـطعت فجـراً

* * *

فَــنَمْ يــا ابــن الأئمــة والــدعاة — ســعيداً في الحيــاة في المــمات
قريــر العــين مــن عمــل وأجــر — ولُقِّيــتَ المنــى والمكرمــات
وشدت وكنـت في الظلـمات نـوراً — وكنـت عـلى الهـدى خـير البنـاة
وكـم لـك في المفـاخر مـن صـنيع — ومن حسنى ، وكم من ذكريـات
فَــنَمْ يــا ابــن الأئمــة والهــداة — قريــراً في جــوار الــصالحات
نــضالك يــا ابــن إبــراهيم بــاق — وذكــرك خالــد في الخالــدات
ســندعو الله بالرحمــات في الفجــ — ــر ، في السحر المنوَّر في الـصلاة
لــه ، لمحمــد ، للــشيخ ، وابــن الـْ — أئمــة والهــداة ، ابــن الــدعاة

* * *

محتويات الديوان

الخاتمة

سألني أحد الأبناء وأنا أكتب هذه السطور من هذا الشيخ الذي تكتب عنه فأجبته:

هذا الذي مثل أبي	سليل فخر النسب
هذا الذي لو خلته	قمر أذى ؟لم تكذب
وإذا يقول مقولة	حِكماً ترى من ذهبِ
هذا الزعيم ولم يكن	نداً له في المطلب
يا ليته لم يمت	كي ما يرى من عجب
كي ما يرى من بعده	ماذا جرى للعرب
نعي الإمام ولم يكن	يخلفه في الرتب
ضاع الأنام كأنهم	قطع الشيا في الحدب
لا رائد لا قائد	يحمي الحمى للمذهب
صلى عليه إلهنا	عد نزول غيث صيب

وبعد:

فهذا جهد المقل المتعثر في كلامه، والمتريث في تبيانه، دفعني لما كتبته معرفتي الخاصة بهذا الرجل العظيم، وعدم إيفاء حقه في بيان سيرته ووصف شخصيته، والغرض من هذا كما هو في تراجم الصالحين والمصلحين، إذ هو غرة في جبين الزمان، وعلم يهتدى به في مسيرة الظلام، وكم سجل التاريخ من أفذاذ الأمة ونوابغ الفكر وأحبار الفقه والعلوم، مما جعل الخلف يحتقر علمه بجانب ما عليه السلف فيشتدّ للعمل الجاد في تحقيق معنى وجود الإنسان في هذا الحيِّز من المكان والزمان ليبق بعد مماته حياً يذكر، يردد اسمه وإن عفى رسمه، ومن أولئك عَلمُنا الشامخ كبير الأمراء والمشايخ : الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب.

وذلك كله بإملاء الفقير إلى الله العاجز في مبدئه ومنتهاه : إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد الحميضي.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم

فهرس الموضوعات





